

الملخص :

اثبتت الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطب ثلاثة خطب في حجة سنة عشرة للهجرة المسماة حجة الوداع ، فقد خطب خطبة في يوم التاسع من ذي الحجة على صعيد عرفة وتسمى خطبة يوم عرفة ، ثم خطب في اليوم التالي خطبة يوم النحر في منى ، وخطبته الثالثة في أوسط أيام التشريق (يوم النفر الأول) ، وتكمن أهمية خطبة حجة الوداع في كونها جاءت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم لذا اعتبر ما ورد فيها خاتمة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي أما مناسك وعبادات ، أو تأكيداً لحكمٍ متقدم ، أو نسخاً لحكمٍ سابقٍ ، أو تشريعاً جديداً ، أو في باب الوصايا ، أو في مجال التحذير والتنبية ، ومن جانب آخر لها أهمية كونها لم تكن خطبة قصيرة بل خطبة طويلة وتكررت ثلاث مرات فحوت الكثير من التفاصيل .

في هذا الخطاب الموجه الى الناس ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينبههم الى أمر مهم وهو اقتراب أجله ، لافتاً أنظارهم الى التركيز على ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المناسك والعبادات ليتعلموها ، فلا يوجد معلم مثل رسول الله يجدونه بعد هذا اللقاء ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك وإنما أعطى احتمالية لقوله (لا أدري لعلي لا ألقاكم) ، الخطبة لها بعد زمني والذي يمثل العمق التاريخي للحدث الممتد من زمن صدور التشريع سواء نزول آية القرآن الكريم أو قول للنبي صلى الله عليه وسلم الى التأكيد عليه في خطبة حجة الوداع .

الكلمات الافتتاحية : تحليلية ، حجة الوداع ، خطبة ، يوم عرفة ، يوم النحر ، يوم النفر

Abstract:

Narrations confirm that the Prophet Muhammad (PBUH) delivered three sermons during his pilgrimage in the tenth year of Hijrah, known as the Farewell Pilgrimage. The first sermon was delivered on the ninth of Dhul-Hijjah on the plain of Arafat, known as the Sermon of Arafat. The

* جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ .

second sermon took place on the following day, the Day of Sacrifice (Yawm al-Nahr) in Mina. The third sermon was delivered on the middle day of the Days of Tashreeq (Yawm al-Nafr al-Awwal).

The significance of the Farewell Sermon lies in the fact that it was delivered at the end of the Prophet's life (PBUH), making its content the final testament of his Sunnah. The sermon either contained rulings related to rituals and acts of worship, reaffirmed previous rulings, abrogated earlier rulings, introduced new legislation, provided important exhortations, or served as a warning and guidance. Additionally, its importance stems from the fact that it was not a brief sermon but rather a lengthy one, repeated three times, encompassing many critical details.

In this sermon, the Prophet Muhammad (PBUH) aimed to alert the people to a crucial matter—the nearness of his departure—directing their attention to closely observing his actions during the pilgrimage rituals so they could learn from them. Since they would not find a teacher like him after this gathering, he subtly indicated this possibility by saying, "I do not know; perhaps I shall not meet you again".

The sermon carries a historical dimension, as it represents the culmination of legal pronouncements—whether Qur'anic revelations or Prophetic sayings—reaffirmed during the Farewell Sermon, thus emphasizing the continuity of divine legislation.

Keywords: Analytical, Farewell Pilgrimage, Sermon, Day of Arafat, Day of Sacrifice, Day of Departure.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد :

اثبتت الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطب ثلاثة خطب في حجه سنة ١٠ هـ المسماة حجة الوداع ، فقد خطب خطبة في يوم التاسع من ذي الحجة على صعيد عرفة عند موضع مسجد نمرة اليوم وتسمى خطبة يوم عرفة في جموع الحجاج لانهم يجتمعون في عرفة دون تخلف اي منهم ، ثم خطب في اليوم التالي خطبة يوم النحر في منى ، وخطبته الثالثة في أوسط أيام التشريق (يوم النفر الأول) ، وقد ذكر وحذر ونصح ، وحث الخطب الثلاثة أموراً مهمة منها في الفقه ومنها في المعاملات وحث الكثير من الوصايا والنصائح ، وللوقوف على نصوص

روايات الخطب الثلاثة الاطلاع على بحثنا (روايات خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع) الذي نشر في مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، في عددها الثامن لسنة ٢٠٢٤م

تكمن اهمية خطبة حجة الوداع في كونها جاءت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم لذا اعتبر ما ورد فيها خاتمة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي أما مناسك وعبادات ، أو تأكيداً لحكمٍ متقدم ، أو نسخاً لحكمٍ سابقٍ ، أو تشريعاً جديداً ، أو في باب الوصايا ، أو في مجال التحذير والتنبيه ، ومن جانب آخر لها اهمية كونها لم تكن خطبة قصيرة بل خطبة طويلة وتكررت ثلاث مرات فحوت الكثير من التفاصيل .

وقد اعتمدت منهجاً بحثياً أن دونت الفقرات التي وردت في خطبة يوم عرفة فقط تحت عنوان (دراسة فقرات خطبة يوم عرفة) ، ثم أوردت الفقرات التي وردت في خطبة يوم عرفة ثم تكررت في إحدى الخطبتين اللاحقتين أو في كلاهما ، ثم الفقرات التي ذكرت في خطبة يوم النحر ولم يذكرها من قبل خصصت لها موضوع مستقل، وأخيراً خصصت عنواناً للفقرات التي تفرد بذكرها في خطبة أوسط أيام التشريق ، وكذلك نهجت في هذا البحث أن ادرس ما ورد من فقرات في الخطبة من خلال استحضار البعد التاريخي للحدث بذكر الآية القرآنية التي تسبق في نزولها زمن حجة الوداع والتي تتناسب مع موضوع الفقرة ، ثم الحديث النبوي الذي يتوافق مع ما ورد في فقرات الخطبة ، ثم ذكر الحدث التاريخي الذي كان سبب لنزول الآية أو مناسبة للحديث النبوي الشريف ، كما وردت في كتب السيرة او كتب التاريخ العام معززة بروايات كتب شروح الحديث وروايات كتب التفاسير ، ومن المنهجية تخريج الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وترجمة لبعض الاعلام غير المشهورين ، والتعريف بالأماكن وشرح الالفاظ الغريبة.

قد تناول بعض الباحثين دراسة خطبة حجة الوداع من جوانب متعددة ، فأحدهم درس حقوق الانسان في خطبة حجة الوداع ، والآخر درسها من جانب فقهي ، وقد ألف أحدهم كتاب في خطبة حجة الوداع تناولها فيه من باب بلاغي ونحوي وبيان معاني المفردات ويتطرق احياناً الى الشرح والأمور الفقهية وكان كتاباً مختصراً لا يتجاوز (٩٠) صفحة بمقدماته وملحقاته ، اما كتاب حجة الوداع لابن حزم ، فلم يختص بالخطبة بل تطرق لأعمال الحج عامتها وهو كتاب مختصر أيضاً وقع في (٦٧) صفحة متناً ومقدمات ونهايات ، والمهم في الأمر لم يتناول أحد من الباحثين الخطبة من جانب تحليلي تاريخي كما نريد دراستها في هذا البحث .

واقترضت خطة البحث أن يقسم بعد المقدمة الى مبحثين ثم الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع ، خصص المبحث الأول لدراسة خطبة يوم عرفة ، وتناول المبحث الثاني دراسة الفقرات الاضافية لخطبتي يوم النحر ، وأوسط أيام التشريق (خطبة النفر الأول) .

المبحث الأول : الدراسة التاريخية لما ورد في خطبة يوم عرفة :

حوت خطبة يوم عرفة على العديد من الفقرات منها ما ورد في هذه الخطبة فقط ومنها ما أعاد صلى الله عليه وسلم ذكره في خطبة يوم النحر أو خطبة أوسط أيام التشريق أو في كليهما ، ويفهم تكرار ذكر العديد من الفقرات على أنه تأكيد عليها لأهمية ما ورد فيها ليسمعها من حضر موسم الحج ، وليكون الناس على بينة من أمرهم ، وليلقي عليهم الحجة ، لذلك في نهاية الخطب يؤكد على انه بلغ ويشهدهم على أنفسهم ويشهد الله تعالى عليهم ، ونورد فقرات هذه الخطبة التي تفردت بها خطبة يوم عرفة على حدة ، والفقرات التي أعادها في خطبة يوم النحر ، والفقرات التي أعادها في خطبة أوسط أيام التشريق على حدة، وبهذه الحالة لن يتحقق الترتيب في تسلسل فقرات الخطبة ، بل تعرض حسب سياق الموضوعات، وعلى النحو التالي :

أولاً : دراسة ما تفردت به خطبة يوم عرفة .

١ - قال صلى الله عليه وسلم : "أيها الناس، اسمعوا قولي، فَإِنِّي لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا"^(١).

في هذا الخطاب الموجه الى الناس ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينبههم الى أمر مهم وهو اقتراب أجله ، لافتاً أنظارهم الى التركيز على ما يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المناسك والعبادات ليتعلموها ، فلا يوجد معلم مثل رسول الله يجدونه بعد هذا اللقاء ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك وإنما أعطى احتمالية لقوله (لا أدري لعلي لا ألقاكم) فقد أمتثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان: ٣٤ .

ومن خلال النظر في الواقع هل حدث ما بلغ به رسول الله ؟ نعم وبعد مدة يسيرة لا تتجاوز الثلاثة أشهر تقريباً ، فزمن هذا الخطاب هو التاسع من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة^(١) ،

(١) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣ / ٨٢٨م) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا واخرون، ط٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م ، ص ٥٥٤ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر للهجرة^(٢) ، وربما جزم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لن يحج مرة ثانية حتى وإن لم يوافيه الأجل ، أما تشريعاً لأن المسلمين مكلفين بحجة واحدة أداءً للتكليف (الفرض) وما سواها تطوعاً ، أو لأنه شعر بتقدم العمر ولا ينوي أداء الحج مرة ثانية .

في الحقيقة أنّ القرآن الكريم فيه اشارات تنذر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموت ، وأنه وارده كما ورد من قبله ويرد من بعده ، كُتِبَ عَلَى بَنِي آدَمَ الْفَنَاءَ فَلَا اسْتِثْنَاءَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ الزمر : ٣٠ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ آل عمران : ١٤٤ ، والحقيقة أنّ هذه الاشارات متقدمة فسورة الزمر مكية النزول نزلت قبل الهجرة النبوية ، اما سورة آل عمران مدنية النزول ، نزلت في بداية العهد المدني قبل سنة خمس للهجرة ، نزلت قبل سورة الاحزاب التي نزلت تتحدث عن غزوة الخندق^(٣) ، اما الانذار المباشر كان في حجة الوداع عندما نزلت آية سورة المائدة : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ المائدة : ٣ ، كما اكد ذلك الحديث الصحيح ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ " أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تُفَرِّغُهَا لَوْ عَلَيْنَا مَعَشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لِاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا قَالَ أَيُّ آيَةٍ قَالَ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي قَالَ عُمَرُ قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ " ^(٤) ، وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم ان نزول هذه الآية يعد نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه ، " لما نزلت هذه الآية الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي قَالَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ قَالَ فَبَكَى عُمَرُ فَقَالَ لَهُ

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٢) ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر (بيروت - ١٩٥٧م) ج ٢ ص ٣٨٥ .

(٣) ملاحويش ، عبدالقادر (ت:١٩٧٨م) ، مختصر تفسير بيان المعاني وهو تفسير على حسب ترتيب النزل ، اختصره علاء محمد سعد وآخرون ، ط ١ ، دار الروية ، دمشق ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٠٧ و ص ٤٩٤ .

(٤) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ ، ج ١ ص ٤٩ ، حديث رقم : (٤٥) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال يا رسول الله أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فانه لم يكمل قط شيء إلا نقص قال صدقت" (١).

فقد شعر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن حياته الكريمة قد انطوت ، وأيامه الفضيلة قد انتهت ، لكن مع كل ذلك فإن موعد الأجل غير معلوم فهو من أمور الغيب الذي اختص به الله تعالى نفسه فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ لقمان: ٣٤ ، وجاء في تفسير هذه الآية " فإنَّ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه، ولن يعلموه ولن يدركوه" (٢).

إضافة الى ما تقدم من إشارات بدنو الأجل ، فقد كانت هناك إنذارات متوالية تدل على ذلك ، منها أن الوحي راجع الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم مرّتين في ذلك العام ، فاستشعر صلى الله عليه وسلم بذلك حضور الأجل المحتوم ، وأخذ ينعى نفسه ، ويذيع بين المسلمين مفارقتة لهذه الحياة ، وكان يقول لبضعته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام : " إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَا أَرَى ذَلِكَ إِلَّا اقْتِرَابَ أَجَلِي " (٣) ، وبعد شهرين من عودة النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ألمّ به المرض ، وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة شهد النبي صلى الله عليه وسلم جنازة في البقيع ، فلما رجع أخذته صداع شديد و هو في الطريق ، و انتقدت حرارته ، واشتد به المرض ، ونُقل إلى بيت أمنا عائشة بنت الصديق رضي الله عنها ، وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ، وتوفي من آخر ذلك اليوم (٤) .

٢ - فَأَعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ (٥) . وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بأن يعوا قوله ويحفظوه ويعقلوه ، ثم تأكيداً على أنه قد بلغ وأدى الأمانة ، أي أعلمتكم ما أنزل إلي من ربي (١).

(١) ابن ابي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ ، ج ٧ ص ٨٨ ، حديث رقم : (٣٤٤٠٨) .

(٢) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، (١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ .

(٣) صحيح البخاري ، البخاري ، ج ٩ ، ص ١٥٢ ، حديث رقم : (٤٦٢٤) .

(٤) المباركفوري ، صفي الرحمن ، سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحيق المختوم ، ط ٢ ، دار الخير ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٤٥٨ و ص ٤٦٦ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعبيد حمد الجبوري

٣ - كَانَ الرَّجُلُ الَّذِي يَصْرُخُ فِي النَّاسِ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَهُوَ مُعْرِفَةٌ، رَبِيعَةُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ (٢) . وذكر في خطبة يوم عرفة ، ان الصارخ الذي كان ينادي بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ربعة بن امية بن خلف (٣) ، وكان في صوته رفاع (٤) .

٤ - وقد اورد ابن هشام رواية عمرو بن خارجه الذي قال : بَعَثَنِي عَتَّابُ بْنُ أُسَيْدٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي حَاجَةٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ، فَبَلَّغْتُهُ، ثُمَّ وَقَفْتُ تَحْتَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنَّ لُغَامَهَا (٥) لَيَقَعُ عَلَى رَأْسِي " إِنَّ اللَّهَ قَدْ آدَى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَإِنَّهُ لَا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ لِوَارِثٍ " (٦) ، الجزء الأول من الفقرة ورد في خطبة يوم عرفة فقط ، اما الكلام الذي بين علامتي الاقتباس من هذه الفقرة ، فقد ورد في خطبة يوم عرفة ، ثم اعيد في خطبة يوم النحر ، ومن أجل اكتمال سياق عرض الموضوع في مكان واحد تم ذكر الفقرة بالكامل هنا .

الوصية للوالدين والاقربين قد نص عليها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: ١٨٠ ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُوتَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ البقرة: ٢٤٠ ، وخطبة حجة الوداع سنة نبوية ، والذي يبدو من السياق ان السنة نسخة حكم الآية ، فمن البديهي أن يطرح سؤال

(١) الملا على القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ، مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري ، ج ٩ ص ١٣٧ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٣) ربعة بن أمية بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي القرشي أدرك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم شرب الخمر في خلافة عمر فهرب خوفا من إقامة الحد إلى الشام ثم لحق بالروم فتنصر ، ينظر : ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق، ص ١١٤١ .

(٤) ابن سلام الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ج ١ ص ٧٤ .

(٥) لُغَامُ النَّاقَةِ لُغَائُهَا : ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر ، غريب الحديث ، تحقيق : د. عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ج ٢ ص ٣٢٥ .

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

: هل يصح نسخ حكم في القرآن الكريم بالسنة النبوية؟ ، وللجواب على هذا السؤال لابد من الوقوف على اقوال العلماء فيه ، فقال ابن الجوزي : " نقول لا يجوز نسخ القرآن بالسنة" (١) ، وفي قول: ينسخ حكم القرآن بالسنة المتواترة وهذا أيضا فيه خلاف كثير بين العلماء فمنهم من أجاز ومنهم من منع (٢) ، وقول بعضهم إن قوله عليه الصلاة و السلام لا تقتلوا أهل الذمة ناسخ لقوله تعالى اقتلوا المشركين فيه نظر إذ هو تخصيص لا نسخ ، قال بعض المحققين وأجود ما قيل هو أن السنة مبينة لا ناسخة (٣) .

(١) وشروط النسخ خمسة أحدهما أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضا فلا يمكن العمل بهما والثاني أن يكون حكم المنسوخ ثابتا قبل ثبوت حكم الناسخ والثالث أن يكون حكم المنسوخ ثابتا بالشرع لا بالعادة والعرف فإنه إذا ثبت بالعادة لم يكن رافعه ناسخا بل يكون ابتداء شرع آخر والرابع كون حكم الناسخ مشروعاً بطريق النقل كثبوت المنسوخ فأما ما ليس مشروعاً بطريق النقل فلا يجوز أن يكون ناسخاً للمنقول ولهذا إذا ثبت حكم منقول لم يجز نسخه بإجماع ولا بقياس والخامس كون الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل طريق ثبوت المنسوخ أو أقوى منه ولهذا نقول لا يجوز نسخ القرآن بالسنة ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧ / ١٢٠٠م) ، المصطفى بألف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، تحقيق د. صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٥ هـ ، ص ١٢ - ١٣ .

(٢) فقال المجيز إن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث ناسخ لقوله تعالى: **چ و ي ي ب ب چ** ، واحتج بقوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ الحشر: ٧ ، وقوله تعالى: **چ پ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣-٤** فعمم ولم يخص فوجب علينا قبوله ، وقال المانع القرآن معجزة والسنة غير معجزة فلا ينسخ المعجز من القرآن ما ليس بمعجز من السنة ، واحتج بأن السنة مبينة للقرآن ولا يكون المبين للشيء ناسخاً ، واستدل على المنع بقول ﴿ * مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَوْ مِثْلَهَا ۗ ﴾ الم تَعَلَّمَ آتَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ البقرة: ١٠٦ ، والسنة ليست مثل القرآن إذ هي محدثة والقرآن غير محدث ، وقال المانع هذا استدلال ظاهري فيه ما فيه وأجاب أي المانع عن قوله: **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَي:** ما أعطاكم مما أنزل عليه من الكتاب فخذوه واقلوه وصدقوا به ، أي الذي يأتيكم به صلى الله عليه وسلم من القرآن هو من عند الله ، لم ينطق به من عند نفسه بدليل قوله تعالى بعد ذلك ، وأجاب عن آية الوصية بأنها نسخت بآية المواريث ، ويؤيده قول الإمام مالك إن آية المواريث نسخت آية الوصية للوالدين فعلى هذا إنما نسخ القرآن بقرآن مثله والسنة إنما هي مبينة للآية الناسخة ، ودليل المانع قوي وهو الحق إن شاء الله تعالى. الكرمي ، مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، تحقيق : سامي عطا حسن ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٤-٣٦ .

(٣) الكرمي ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، ص ٣٤-٣٦ .

وقيل السنة إذا كانت بأمر الله من طريق الوحي نسخت وإن كانت باجتهاد فلا تتسخه ، وقيل بل إحداهما تتسخ الأخرى ثم اختلفوا فقيل الآيتان إذا أوجبتا حكمين مختلفين وكانت إحداهما متقدمة الأخرى فالمتأخرة ناسخة للأولى كقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ البقرة: ١٨٠ ، وقال: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ ﴾ النساء: ١١ ، قالوا فهذه ناسخة للأولى ولا يجوز أن يكون لهما الوصية والميراث ، وقيل بل ذلك جائز وليس فيهما ناسخ ولا منسوخ وإنما نسخ الوصية للوارث بقوله عليه السلام لا وصية لوارث وقيل ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة، ويجوز نسخ الناسخ فيصير الناسخ منسوخاً (١) .

وقد افرد الامام البخاري باباً في صحيحه اسماه باب لا وصية لوارث جاء فيه ، "عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ الْمَالُ لِلْوَالِدِ وَكَانَتْ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ فَتَسَخَّ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ وَجَعَلَ لِلْأَبْوَابِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسَ وَجَعَلَ لِلْمَرْأَةِ الثُّمْنَ وَالرُّبْعَ وَالرُّبُوحَ الشَّطْرَ وَالرُّبْعَ" (٢) ، وعليه يكون نسخ آية الوصية بآية الموارث وليس في السنة ، وهذا ما ذهب اليه العلماء ، وقد نزلت آية الموارث بعد بدر بقليل لما روي "لم تكن المؤاخاة إلا قبل بدر فلما نزلت آية الموارث انقطعت المؤاخاة" (٣) .

٥- ذكر ان ابن ربيعة بن الحارث اسمه آدم وقيل تمام وكان سبب قتله حرب كانت بين قبائل هذيل تقاذفوا فيها بالحجارة فأصاب الطفل حجر وهو يحبو بين البيوت (٤) ، سيأتي الحديث عن هذه الفقرة ودراستها التاريخية بعد قليل في موضعها في الفقرة الثانية (٤) من هذا المبحث حسب سياق الموضوع ، تجدر الإشارة الى أنه ذكر اسم ابن ربيعة بن الحارث انه تمام وقيل غير ذلك كما تقدم ، وان سبب قتله تقاذف الحجارة بين قبائل هذيل ، فأصابه حجر فقتله .

ثانياً : دراسة ما ذكره في خطبة يوم عرفة واعاده في خطبة يوم النحر او خطبة أوسط أيام التشريق .

(١) الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١ هـ ، ج ٢ ص ٣١ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٧ ص ١٢٧ ، رقم الحديث : ٢٧٤٧ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٤) السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى : ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، المحقق : عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ج ٧ ص ٥٠٧ .

١ - إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ^(١) .

هذه الفقرة من الخطبة لها بعد زمني والذي يمثل العمق التاريخي للحدث الممتد من زمن صدور التشريع سواء نزول آية القرآن الكريم او قول للنبي صلى الله عليه وسلم الى التأكيد عليه في خطبة حجة الوداع، وحكم تحريم الدماء اي قتل النفس الذي أورده رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم عرفة وكرره في خطبتي يوم النحر وأوسط أيام التشريق لأهميته ، مستوحى من الآية القرآنية التي حرمت قتل النفس ، بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٣ ، معنى ذلك ان تحريم قتل النفس كان سابق لزمن الخطبة بنص القرآن الكريم ، وهذه الآية من سورة الاسراء ، وسورة الاسراء مكية النزول نزلت في السنة إحدى وخمسين من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) ، وفي قول قبل الهجرة بسنة في شهر ربيع الأول^(٣) ، وهذا يدل على انه مضى على نزول هذا الحكم ما يقارب إحدى عشرة سنة ، وقد علمه أهل مكة لأنه نزل فيها ، وعلمه أهل المدينة ومن أسلم من القبائل لأنه قرآن يتلى فلا بد ان سمعه الكثير من المسلمين ان لم يكن اغلبهم ، لكن اعادة إعلان هذا الحكم تذكير فيه ، وتأكيد على عدم نسخ هذا الحكم ، والتحذير منه ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم في هذه الحجة خطبة مودع ، وبين لهم من الدين ما لا غنى لهم عنه ، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ " قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ أَي لَا تَقْتُلُوهَا أَبَدًا لِسَبَبٍ مِنَ الْإِسْبَابِ إِلَّا بِسَبَبٍ وَاحِدٍ هُوَ الْحَقُّ ، وَذَلِكَ بِأَسْبَابٍ ثَلَاثَةٍ، ان يكفر بالله بعد الإيمان ، أو يزني بعد الإحصان ، أو يقتل نفساً عمداً^(٤) .

ثم أورد صلى الله عليه وسلم تحريم أموال المسلم على المسلم ، الذي استند فيه الى ما نزل من القرآن الكريم ، في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَطْلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٨

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤ .

(٢) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) ، التنبيه والأشراف ، تحقيق عبد الله إسماعيل الصادق ، دار الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨م ، ص ٢٠٠ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢١٤ .

(٤) الملا حويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص ١٧٢ .

، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ النساء: ٢٩ ، وهذا بيان صريح في حرمة الاموال دون وجه حق ، وهذه الآيات مدنية النزول مضى على نزولها سنوات^(١) ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد التأكيد والتشديد على أمر الاموال لما فيها من الفتنة ، وجدير بالذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شدد في حرمة مال المسلم وأنها مستمرة الى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم إلى أن تلقوا ربكم ، فلقاء الله تعالى لا يكون الا في الحياة الآخرة .

وقد اضاف في خطبتي يوم النحر وأوسط أيام التشريق واعراضكم^(٢) عليكم حرام ، وقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة دم المسلم وماله وعرضه بحرمة يوم عرفه ، وحرمة شهر ذي الحجة ، وحرمة البلد الحرام ، من باب التشديد في الامر والتذكير في عظمة حرمة الدماء والاموال والاعراض ، ومن باب الوقوف على البعد التاريخي للخطبة وما ورد فيها نذكر أن ليوم عرفة فضل عظيم دلت عليه الاحاديث النبوية^(٣) ، وحرمة شهر ذو الحجة مشهورة " وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ"^(٤) ، اما حرمة البلد الحرام (مكة المكرمة) فنص عليه الحديث الصحيح " عَنْ أَبِي شُرَيْحِ الْعَدَوِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرٍو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ ائْتَدَنْ لِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ أُحَدِّثُكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعِدِّ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ فَسَمِعْتُهُ أُذْنَايَ وَوَعَاةَ قَلْبِي وَأَبْصَرْتُهُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ إِنَّهُ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ مَكَّةَ حَرَمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَجِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُولُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ أَنْ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ مَا قَالَ لَكَ عَمْرٍو قَالَ أَنَا أَعْلَمُ

(١) الملا حويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص ٤٤١ ، ص ٥٢٨ .

(٢) والعرض لفظ جامع دل على الحسب والسمعة ، وعرض الرجل حسبه وقيل نفسه وقيل خليفته المحمودة وقيل ما يُمدح به ويُذمُّ وفيه قال حسان: فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ (ديوان حسان بن ثابت ، ص ١) ؛ وفلان نقي العريض أي بريء من أن يُشتم أو يُعاب ، ويقال لا تُعرض عرض فلان أي لا تُذكره بسوء، وقيل في قوله شتم فلان عرض فلان معناه ذكر أسلافه وآبائه بالقبيح ويقال العرض نفس الرجل، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، لسان العرب، ط١ ، دار صادر - بيروت ، ج ٧ ، ص ١٦٥ .

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ٥ ص ١١٨ ، حديث رقم : ٩٢٦٣ ؛ الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، المستدرک على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، ج ١ ص ٦٣٦ ، رقم الحديث : ١٧٠٥ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤ .

بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ إِنَّ الْحَرَمَ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا وَلَا فَارًا بِدَمٍ وَلَا فَارًا بِخُرْبَةٍ خُرْبَةً بَلِيَّةً^(١)، والمراد بهذا كله بيان توكيد غلظة تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك (وستلقون ربكم) أي يوم القيامة (فيسألکم عن أعمالکم) أي القليلة والكثيرة^(٢).

٢ - فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ أُتْمِنَتْ عَلَيْهَا^(٣) .

وجاء في الخطبة الأمر بأداء الامانة ، وقد وردت هذه الفقرة من الخطبة في خطبة يوم عرفة ، ثم كررها في خطبة أوسط أيام التشريق ، ومبدأ الامانة في الشريعة الإسلامية مبدأ أساسي وليس متأخر في التشريع ، ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ النساء: ٥٨ ، أما السيرة النبوية فحفظت لنا مشاهد وصور مبكرة من أداء الامانة ، فقد ورد في حوار جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي أن دين الاسلام يأمر بأداء الأمانة^(٤) وكان هذا الحوار عند هجرة بعض المسلمين الى الحبشة سنة (٧) للبعثة ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن يتأخر عن الهجرة ليؤدي الأمانات عنه^(٥) ، فكان التأكيد على أداء الامانة في خطبة حجة الوداع لأهمية الأمر ، كما أكد القرآن الكريم هذه الأهمية ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب: ٧٢ ، فنزول هذه الآيات ووقوع هذه الاحداث في السيرة كلها متقدمة زمنياً على خطبة حجة الوداع .

٣ - وَإِنْ كُلُّ رَبِّا مَوْضُوعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رَبِّا، وَإِنْ رَبِّا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(٦) مَوْضُوعٌ كُلُّهُ^(١)

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤- ٥٥٥ .

(٢) التبريزي ، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ، مشكاة المصابيح ، مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري ، ٩ / ٦٠٩ - ٦١٣ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٤ ص ٤٦٩ ، حديث رقم : ١٨٣٢ .

(٤) الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلثة الخلفاء ، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٧ هـ ، ج ١ ص ١٨٥ .

(٥) ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ) ، أسد الغابة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ج ١ ص ٧٩٦ .

(٦) العباس بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الفضل ، ولد قبل رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم بسنتين ، اسلم عام الفتح ، ومات بالمدينة في رجب أو رمضان سنة اثنتين وثلثين ، ابن حجر ، أحمد

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

وكان لذكر الربا نصيب في خطبته صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، وأعاد التذكير به في خطبة أوسط أيام التشريق ، ومن المعلوم ان العرب قبل البعثة النبوية كانوا يتعاملون في الربا وقد استمر هذا التعامل بعد البعثة ، وقد سبق تحريم الربا بنص القرآن الكريم ، لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ البقرة: ۲۷۵ ، وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة: ۲۷۸ ، ثم جاء النهي الصريح عن التعامل في الربا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ۱۳۰ ، (أضعافا مضاعفة) كانوا في الجاهلية إذا حل أجل الدين قال الدائن للمستدين إما أن تقضي وإما أن تربني أي أزيدك في الأجل وتزيدني في الدين وهكذا ربما تكرر هذا فيتضاعف مقدار الدين^(١) ، وأكد القرآن الكريم على النهي عن الربا ﴿ فِطْرًا مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ النساء: ۱۶۱ .

والاحاديث صحيحة صريحة في تحريم الربا والتشنيع في من يأخذ الربا ، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات" ^(٢) ، وفي حديث آخر قال: "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْلَ الرِّبَا وَمُوكَلَّهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ" ^(٣) .

بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ج ٣ ص ٦٣١ .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤-٥٥٥ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٧٣٣ ، رقم الحديث : ٢٣ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ١٠١٧ ، رقم الحديث : ٢٦١٥ .

(٤) مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ / ٨٧٤م) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٥ ، ص ٥٠ ، رقم الحديث : ٤١٧٧ .

مما تقدم من امر تحريم الربا بين لا لبس فيه وهذه الآيات نزلت في بداية العهد المدني ، وورود تحريم الربا في خطبة حجة الوداع يطرح سؤال : إذا حرم الربا بنص القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، ما الحاجة الى اعادة تحريمها في خطبة حجة الوداع ؟ يفترض ان المسلمون امتثلوا لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وامتنعوا عن التعامل بالربا ، لجواب على هذا السؤال يمكن القول ان الدخول في الاسلام كان مستمر الى زمن حجة الوداع وبعدها فهناك من دخل الاسلام ولا يزال لديه متعلقات من معاملات ربوية لأنها تكون فيها آجال ومدد ، وبعضهم من الاعراب الذين تبعد بلادهم عن المدينة المنورة ، ولا يعلمون من تعاليم الاسلام الا اليسير ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ وإلقاء الحجة على الناس مستغلاً تواجد هذا العدد الكبير من المسلمين الذين حضروا حجة الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ النساء: ١٦٥ .

اما ذكر ربا العباس بن عبدالمطلب على وجه الخصوص في هذه الخطبة ، من باب ان المرء إذا أراد الإصلاح عليه ان يبدأ بنفسه واهل بيته ثم ينصح الاخرين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم النموذج الامثل في الإصلاح هذا من جانب ، ومن جانب آخر حرص صلى الله عليه وسلم ان ينقي عمه العباس من متعلقات المعاملات في الجاهلية ، فلا يمكن ان يكون العباس لازال مستمر بالمعاملات الربوية الى زمن حجة الوداع حتى يرد ذكره في الخطبة دون غيره ، لكن لديه معاملات ربوية قبل اسلامه استمرت متعلقات هذه المعاملات الى زمن حجة الوداع ، خاصة ان اسلامه متأخر لا يبعد كثيراً عن زمن حجة الوداع فقد اسلم قبل حجة الوداع بما يقارب السنتين فقط ، لأنه اسلم عام فتح مكة ، ومن ذلك جاء الحكم بان كل الحقوق الربوية تترك وله رأس ماله فقط ، ايذاناً بإنهاء متعلقات المعاملات الربوية.

٤ - وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعًا، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَصْعَ دَمِ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^(١)، وَكَانَ مُسْتَرَضًّا فِي بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلْتَهُ هُدَيْلٌ فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأَ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ^(٢)

(١) ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (ت ٢٣هـ) ، القرشي الهاشمي، أبو أروى، أخو أبي سفيان بن الحارث ، وله صحبة، وهو من مسلمة الفتح، وأمه عزة ابنة قيس الفهريّة ، لم يشهد بدرًا مع قومه لأنه كان غائبًا بالشام ، مات بالمدينة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، أطعمه النبي صلى الله عليه وسلم من خبير مائة وسق كل عام، الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، ج ٢ ، ص ٤٦١ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

والحاقاً بأبطال الربا المتراكم منذ زمن ، كان وضع دماء الجاهلية ، من اجل انهاء كل رواسب الجاهلية، وترك الامة في صفاء ووثام ، كانت الثارات تستنزف دماء الكثير من ابناء المجتمع ، والآن زمن نشر الدين والفتوحات والامة بحاجة إلى كل فرد من أبنائها ، فلا يمكن التفريط بدمائهم بدعوى الثأر أو أمور الجاهلية ، ومن الجدير بالذكر أن الحفاظ على النفس شرع له قوانين سماوية فالقصاص عقوبة القتل العمد هو حفاظاً على النفس البشرية ، لأن القصاص فيه ردع لمن يستهين بدماء المسلمين ، ﴿ وَلكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٧٨) البقرة: ١٧٩ ، وقوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ البقرة: ١٧٨ ، كل هذه التشريعات من أجل الحفاظ على النفس ، فهي أجل من تهدر بسبب ثارات تتعلق بأمر الجاهلية ، وربما كان الثأر نتيجة القتل الخطأ فلا يستحق القصاص في شريعة الاسلام ، بل شرع الله له الدية ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ النساء: ٩٢ ، هذه الآيات وغيرها كلها اكدت على عدم قتل النفس الا بالحق ، وبعض هذه الآيات نزلت في العهد المكي ، وجاء التأكيد على هذا الامر في خطبة حجة الوداع في يوم عرفة ، وتم ذكره في خطبة أوسط أيام التشريق لأهميته .

وكما هو معروف من منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر بأمر أو نزل تشريع كان أول من يفعل ذلك ليقنتدي به المسلمون ، فقد أعلن صلى الله عليه وسلم على مسامع عشرات الآلاف من المسلمين إن أول دم من دماء الجاهلية يضع هو دم ابن عمه ، ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، مات وهو مسترضع في بني ليث وقيل في بني سعد^(١)، قتله هذيل كان سبب قتله قتله حرب كانت بين قبائل هذيل تقاذفوا فيها بالحجارة فأصاب الطفل حجر وهو يحبو بين البيوت^(٢) ، في قول اسمه إياس^(٣) ، وفي قول آخر اسمه آدم وقيل تمام^(٤) .

(١) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ج١، ص٤٥٤ - ٤٥٥ .

(٢) الروض الأنف ، السهيلي ، ج٧ ، ص٥٠٧ .

(٣) الكشي ، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكشي ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي البديري

السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي، ط١ ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص٢٧٠ ، حديث

رقم : ٨٥٨ .

(٤) الروض الأنف ، السهيلي ، ج٧ ، ص٥٠٧ .

٥ - فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَيْسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطْعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ^(١).

ذكر أمر الشيطان في خطبه الثلاثة في حجة الوداع ، وهذا يدل على أن الأمر غاية في الأهمية ، وأن التحذير من الشيطان ليس بالأمر الجديد فالآيات كثير ، والأحاديث متواترة في التحذير من كيد الشيطان وعدم طاعته ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، قوله تعالى : ﴿ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ يس : ٦٠ ، وهذه السورة مكية نزلت مقدمة قبل سورة الإسراء^(٢) ، أما في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فاقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " ^(٣) .

صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس^(٤) من ان يعبد في أرض العرب ، لذلك رضي بالذنوب ، وستكون للشيطان طاعة فيما تحقرون من أعمالكم التي هي دون الكفر من القتل والنهب ونحوهما من الكبائر، وتحقير الصغائر، فسيرضى بالمحتقر؛ حيث لم يحصل له الذنب الأكبر؛ ولهذا ترى المعاصي من الكذب والخيانة ونحوهما توجد كثيراً في المسلمين، وقليلاً في الكافرين؛ لأنه قد رضي من الكفار بالكفر، فلا يوسوس لهم في الجزئيات، وحيث لا يقدر على المسلمين بالكفر فيرميهم في المعاصي، وحذر صلى الله عليه وسلم المسلمين والمؤمنين من كيد الشيطان على دينهم، وهذا القول مستوحى من الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ فاطر : ٦ .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٢) ملاحويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص ٩٣ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١ ص ٣٨٣ ، رقم الحديث : ١٠٩١ .

(٤) إن الشيطان أيس أن يعود أحد من المؤمنين إلى عبادة الصنم، ولا يرد على هذا مثل أصحاب مسيلمة، ومانعي الزكاة، وغيرهم ممن ارتد؛ لأنهم لم يعبدوا الصنم ، ويحتمل معنى آخر: وهو أنه أشار - عليه الصلاة والسلام - إلى أن المصلين من أمته لا يجمعون بين الصلاة، وعبادة الشيطان؛ كما فعلته اليهود والنصارى ، ولك أن تقول: معنى الحديث: إن الشيطان أيس من أن يتبدل دين الإسلام، ويظهر الإشراف، ويستمر، ويصير الأمر كما كان من قبل، ولا ينافيه ارتداد من ارتد، بل لو عبدت الأصنام أيضاً لم يضر في المقصود، محمد احمد عبد الغني ، كتاب خطبة حجة الوداع فوائده وفرائده ، ص ٥ .

٦ - إِنَّ النَّسِيءَ^(١) زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا، لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ^(٢).

تحريم النسيء جاء في نص القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ ﴾ التوبة: ٣٧ ، وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين:

أحدهما: ما ذكر من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات .

والثاني: تأخيرهم الحج عن وقته تحريماً منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوماً، أو أكثر قليلاً، حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته^(٣) ، وهذا ما يعرف بالكبس .

ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع : أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض^(٤) ، وكانت العرب في جاهليتهم غيروا ذلك، فجعلوا عاماً اثني عشر شهراً، وعاماً ثلاثة عشر، فإنهم كانوا ينسئون الحج في كل عامين من شهر إلى شهر آخر بعده، ويجعلون الشهر الذي أنسأوه ملغى، فتصير تلك السنة ثلاثة عشر، وتتبدل أشهرها، فيحلون الأشهر الحرم ويحرمون غيرها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ ﴾ التوبة: ٣٧ ، فأبطل الله تعالى ذلك، وقرره على مداره الأصلي^(٥) ، وكانت حجة

(١) النَّسِيءُ عند الْعَرَبِ وهو تَأْخِيرُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَتَقْدِيمُهُ ، الطالقاني ، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، المحيط في اللغة ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسي ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت / لبنان ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ، ج ٨ ص ٣٨٦ ؛ ومعنى النسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ويؤخرون ذلك الشهر ، السهيلي ، الروض الأنف ، ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٣) السهيلي ، الروض الأنف ، ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .

(٥) البيضاوي ، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٥م) ، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، ١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٢م ، ج ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة^(١).

٧ - وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ^(٢).

هذه الفقرة من الخطبة تم ذكرها في الخطب الثلاثة في حجة الوداع ، خطبة يوم عرفة ، وخطبة يوم النحر ، وخطبة أوسط أيام التشريق لأهميتها ، وفيها محوران هما استدارة الزمان ، وعدة الشهور والأشهر الحرم منها ، ونبينها على النحو التالي :

أ : استدارة الزمان : ورد في خطبة حجة الوداع قوله صلى الله عليه وسلم : وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، في هذه القول من الخطبة نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين الى حدث زمني مهم ، فبعد ان اضطرب حساب الزمن ولم تعد أسماء الشهور توافق زمن الشهور الاصلية بسبب بدعة ابتداعها العرب تدعى الكبس و النسيء ، فقدّر الله ان الزمن قد عاد الى نظامه الذي خلقه الله عليه وان عودة الزمن وافق حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، و استدار بمعنى: دار، والمراد: أن الزمان في انقسامه إلى الأعوام وانقسام الأعوام إلى الأشهر عاد إلى أصل الحساب، والوضع الذي اختاره الله ووضعه يوم خلق السماوات والأرض، وهو أن يكون كل عام اثني عشر شهراً، وكل شهر ما بين تسعة وعشرين إلى ثلاثين يوماً، وقال الله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾ الرحمن: ٥ ، أي: بحساب معلوم بين، يجريان في بروجهما ومنزلهما، وبني وضع السنين على حركات الشمس، ووضع الشهور على حركات القمر، وكانت العرب في جاهليتهم غيروا ذلك، فجعلوا عاما اثني عشر شهرا، وعاما ثلاثة عشر، فإنهم كانوا ينسؤون الحج في كل عامين من شهر إلى شهر آخر بعده، ويجعلون الشهر الذي أنسؤوه ملغى، فتصير تلك السنة ثلاثة عشر، وتتبدل أشهرها، فيحطون الأشهر الحرم ويحرمون غيرها، كما قال تعالى: ﴿ جَاءَ فِي مَعْنَى اسْتَدَارَةِ الزَّمَانِ ، " (إن الزمان) هو اسم لقليل الوقت وكثيره ، والمراد هنا السنة، (قد استدار) أي دار ، (كهيئته) الهيئة صورة الشيء وشكله وحالته ، (يوم خلق الله السموات) أي وما فيها من النيرين (الشمس ، والقمر) الذين بهما تعرف الأيام والليالي والسنة والأشهر ، أي عاد ورجع إلى الموضع الذي ابتداء منه يعني الزمان في

(١) السهيلي ، الروض الأنف ، ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٣) البيضاوي ، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، ج ٢ ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

انقسامه إلى الأعوام والأعوام إلى الأشهر عاد إلى أصل الحساب والوضع الذي اختاره الله تعالى ووضعه يوم خلق السموات والأرض " (١).

وفي رواية أخرى جاء شرح قوله: "الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض"، (الزمان): الدهر، (استدار): أي: دار، (كهيئته): أي: على الترتيب الذي خلق الله الدهر عليه، أن أهل الجاهلية كانوا يعتقدون بتحريم الأشهر الحرم، وهي رَجَبٌ وذو القعدة وذو الحجة والمُحَرَّم، ولا يقاتلون في هذه الأشهر، إلا أنهم إذا وقع لهم حربٌ شديدةٌ وضرورةٌ في قتال، بدّلوا الأشهر الحرم إلى غيرها، وأمروا منادياً لينادي في القبائل: ألا إنا أحرنا رجباً إلى رمضان، عنوا بذلك أنا لا نحارب في رجب، ونترك الحرب بدله في رمضان، وأحرنا ذا الحجة إلى المحرم، والمُحَرَّم إلى صفر، وصفر إلى الربيع الأول، وإذا أحرنا ذا الحجة إلى شهر آخر أحرنا الحج من ذي الحجة إلى شهر آخر، وهكذا يؤخرون الحج من شهر إلى شهر حتى بلغ دور تأخير ذي الحجة على حسابهم إلى ذي الحجة، فالسنة التي حج فيها رسول الله عليه السلام في حجة الوداع هي السنة التي وصل ذو الحجة إلى موضعه، فقال رسول الله عليه السلام في خطبته في الحج هذا الحديث، وقال: (ألا إن الزمان قد استدار كهيئته) ، يعني: أمر الله أن يكون ذو الحجة في هذا الوقت، فاحفظوا جعل الحج في هذا الوقت، ولا تبدلوا الشهر بالشهر كعادة أهل الجاهلية (٢)، وكان يشق عليهم تأخير القتال ثلاثة أشهر متواليات وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، فكانوا إذا احتاجوا إلى قتال أحرنا المحرم إلى الشهر الذي بعده وهو صفر ، ثم يؤخرونه في السنة الأخرى وهكذا ، فأبطل الله ذلك وقرره على مداره الأصلي (٣).

لكن المشكلة هي: أمر النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وأمره بالحج قبل حجة الوداع مع أن الحج لا يصح في غير ذي الحجة ، مما يتعين اعتقاده أن الحج سنة ثمان التي كان عليها عتاب بن أسيد أمير مكة وسنة تسع التي كان عليها أبو بكر إنما كانت في ذي الحجة وكان الزمان استدار فيهما ، وهذا الحديث لا ينافي ذلك لأن قوله قد استدار صادق بهذه الحجة وما قبلها فتعين حمله على العامين قبلها أيضا (٤) ، لكن رواية ابن اسحاق تعارض ان يكون حجة عتاب ابن أسيد

(١) التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ج ٩ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٢) المظهري ، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الريداني الكوفي الصريير الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري (ت: ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م) ، المفاتيح في شرح المصابيح ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب ، دار النوادر، ط ١ ، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠ .

(٣) التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ج ٩ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ .

(٤) الملا على القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ، ص ١٣٥ .

وابو بكر في شهر ذي الحجة حيث جاء فيها ، عن ابن اسحق قال: " سألت ابن أبي نجيع عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الزمان قد استدار حتى صار كهينته يوم خلق الله السموات والأرض فقال: كانت قريش يدخلون في كل سنة شهراً، وإنما كانوا يوافقوا ذا الحجة في كل اثنتي عشر سنة مرة، فوفق الله تعالى لرسوله في حجته التي حج ذا الحجة فحج رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ... فقلت لابن أبي نجيع: فكيف بحجة أبي بكر وعتاب بن أسيد؟ فقال: على ما كان الناس يحجون عليه، هذه العبارة تعطينا دلالة أخرى وهي أن أبا بكر حج في ذلك العام بحسب مناسك أهل قريش كما ورد في العبارة (على ما كان الناس يحجون عليه) ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أبا بكر مناسك الحج في السنة التي حج فيها أبا بكر، ثم فسر ابن أبي نجيع فقال: كانوا يحجون في ذي الحجة ثم العام المقبل في المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهراً^(١) .

وأكد ذلك السهيلي "وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة ، إذ كانت مكة بحكمهم حتى فتحها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ... نرى أن قول الله سبحانه ﴿ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ البقرة: ١٨٩ ، وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالأوقات تأكيداً لاعتباره بالأهلة دون حساب الأعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج " ^(٢) ، وأضاف السهيلي " وكان الحج منقولاً عن وقته ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ويؤخرونه في كل سنة أحد عشر يوماً، وهذا هو الذي منع النبي صلى الله عليه وسلم أن يحج من المدينة ... ولذلك قال في حجة الوداع إن الزمان قد استدار كهينته يوم خلق الله السموات والأرض " ^(٣) .

ب : عدة الشهور ، والاشهر الحرم منها : أما قوله صلى الله عليه وسلم : إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبٌ مُضَرٌّ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ ، مستوحى من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ

(١) ابن اسحاق ، سيرة ابن إسحاق ، ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) السهيلي ، الروض الأنف ، ج ١ ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) السهيلي ، الروض الأنف ، ج ٧ ص ١٥٨ .

اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُورٌ ﴿٣٦﴾ التوبة: ٣٦^(١)، ردّ على المشركين، فإنهم كانوا يجعلون بعض السنين ثلاثة عشر شهراً^(٢).

وقوله : (ورجب مضر) ومضر قبيلة عظيمة ، وأضاف الشهر إليها لأنها كانت تشدد في تحريم رجب وتحافظ على ذلك أشد من محافظة سائر القبائل من العرب ولا توافق غيرها من العرب في استحلاله (الذي بين جمادى وشعبان) وصفه بكونه بين جمادى وشعبان لزيادة البيان وتوكيده ، ويحتمل أن يكون إنما قال ذلك من أجل أنهم قد كانوا نسأوا رجباً وغيروه عن موضعه وسموه به بعض الشهور الآخر فنحلوه اسمه فبين لهم أن رجباً هو الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا ما كانوا يسمونه على حساب النسب^(٣) ، وموضع الدلالة في قوله صلى الله عليه وسلم: ورجب مضر مضافة إليهم لأنهم كانوا أكثر تعظيماً له من غيرهم، وكانت ربعية ومضر إنما يحرمون أربعة أشهر من السنة، وهى ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم، واختلفت ربعية ومضر في الرابع وهو رجب، فقالت: مضر: هو الذى بين جمادى وشعبان. وقالت ربعية: هو الذى بين شعبان وشوال^(٤) أي : رمضان ، وقد رجح رسول الله صلى الله عليه وسلم قول مضر على قول ربعية لما ثبت عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة حجة الوداع: ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، فنص على ترجيح قول مضر لا ربعية^(٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث متواليات ، رد على أهل النسب الذين كانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر وقوله فيه: " ورجب مضر " رد على ربعية^(٦).

رغم ان المشهور أن الأشهر الحرم أربعة كما جاءت به الشريعة ونص عليه القرآن الكريم ، إلا اننا نجد بعض العرب كان لهم نظام مختلف في تحديد الأشهر الحرم كما جاء في قول " وفيهم كان البسل، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب، وكانت العرب تعرف لهم ذلك

(١) هذه الآية نزلت في العهد المدني وهي السورة (١٠٨) نزولاً في نهاية سنة تسع للهجرة . ينظر : الملاحيش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص ٦٢٩ .

(٢) الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٧ م) ، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ج ٨ ، ص ١٢٦ ، ج ١١ ، ص ٢٤٨ .

(٣) التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ج ٩ ، ص ٦٠٤ - ٦٠٧ .

(٤) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٥) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٦) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

ويؤمنونهم فيها ويؤمنونهم أيضا" (١)، وقد قال الله عز وجل ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ التوبة: ٣٦ ، فهذا رد على بنى عوف بن لؤى في جعلهم الا شهر الحرم ثمانية، فزادوا على حكم الله وأدخلوا فيه ما ليس منه (٢) .

٨ - فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَصَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهِنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةٍ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ (٣) .

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الفقرة الحقوق المتبادلة بين الزوجين ، وأكد على أول حق للزوج على زوجته، أن لا يوطأ فراشه أحد يكرهه ، وهذا لا يعني ارتكاب الفاحشة بل الاذن بالدخول والجلوس في المنزل لمن يكره الزوج دخوله بيته ، سواء كان محرماً ام غير محرم، او رجلاً أم امرأة ، سواء كرهتموه بنفسه ام لا(٤)، وفي قول : "وَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا" أي: لا يبحن يبحن الاضطجاع فيها ووطأها برجله لذلك غيركم، وهي كناية عن جماع النساء؛ لكون أكثر ذلك في الفرش، ولأن المرأة تسمى بذلك على معنى المجاز (٥) ، وقيل: "المراد بذلك ألا يستخلين مع الرجال، ولم يرد زناها؛ لأن ذلك يوجب حدها، ولأن ذلك حرام مع من نكرهه نحن أو لا نكرهه، وقد

(١) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٤) ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت ، ج ١ ص ٥٩٤ ، رقم الحديث : ١٨٥١ .

(٥) ابن قرقول ، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت: ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)، مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م، ج ٦ ص ١٩٨ .

قال: (أحدًا تكرهونه) ، قال القاضي: كانت عادة العرب حديث الرجال مع النساء، ولم يكن عيباً ولا ريبة عندهم، فلما نزلت آية الحجاب نهى عن ذلك^(١) .

والحق الثاني عدم الاتيان بفاحشة مبينة ، وقد ورد ذكر الاتيان بالفاحشة مبينة في آيات عدة كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الطلاق: ١ ، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ﴾ النساء: ١٩

﴿ يَنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُم بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ الأحزاب: ٣٠ ، وتفسير الفاحشة المبينة التي وردت في الآيات الكريمة ، في قول : " الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنى واللواط ، وإذا وردت منكراً فهي سائر المعاصي، وإذا وردت منعوتة فهي عقوق الزوج وفساد عشرته ، وقالت فرقة: بل قوله فاحشة مبينة ، تعم جميع المعاصي^(٢) ، وفي قول آخر : "فَاحِشَةٌ مُّبَيَّنَةٌ ، بِمَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ ظَاهِرَةٍ الْقُبْحِ"^(٣) ، والفاحشة المبينة تشمل الزنا، وتشمل ما إذا نشرت المرأة أو بدت على أهل الرجل وأذتهم في الكلام والفعال^(٤).

وقد وردت آراء عديدة في معنى الفاحشة المبينة التي ذكرت في القرآن الكريم قال ابن العربي : " كلُّ ما كان في القرآن فاحشة مُّبَيَّنَةٌ فهو البذاء من اللسان ، وهذا يقتضي أنّ من الفاحشة ما ليست ببينة، وليس ذلك الزنا في قول من قال ذلك؛ لأنّ أمر الزنا واحد، إذا غابت الحشّة في الفرج وجب الرجم، وإلى هذا ذهب ابن عباس، وقال: لو كان الزنا الفاحشة كما يقولون أُخْرِجَتْ فُرْجَمَتْ، وإنّما الفاحشة النُّشُورُ وسوءُ الخُلُقِ"^(٥) ، وفي قول ثاني : " عن ابن عمر ، أنه

(١) القاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) ، شُرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاذِ الْمُسَمَّى إِكْمَالِ الْمُعْلَمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ ، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٢) القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط ٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ م ، ج ١ ص ١٧٦ .

(٣) أسعد حومد ، أيسر التفاسير ، ص ٣٤٤٤ .

(٤) ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م) ، تفسير القرآن العظيم ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، ط ٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ، ج ٨ ص ١٤٤ .

(٥) ابن العربي ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) ، المسالك في شرح مؤطاً مالك ، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى ، قدّم له: يوسف القرضاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ج ٥ ص ٦٣٤-٦٣٥ .

قال : خروجهن من بيوتهن فاحشة ، وروي عن ابن عباس : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الطلاق: ١ ، قال : الزنا ، قال : فإذا زنت أخرجت فأقيم عليها الحد ، قال إسماعيل بن إسحاق : ذهب كل واحد من هؤلاء إلى غير مذهب صاحبه ، غير أنه إذا قيل : فاحشة مبينة ، دل أنه شيء يكون بعضه أبين من بعض ، وأما الزنا وغيره من الحدود ، فإنما هو حد محدود إذا بلغه الإنسان كان زانياً ، وأما غير ذلك من الشر الذي يقع بين الرجل وامرأته ، فإن بعضه أكثر من بعض ، ونحتاج فيه إلى اجتهاد الرأي ، فإن كان شراً لا يطمع في صلاحه بينهم انتقلت المرأة إلى مسكن غيره ، وأما الزنا فليس فيه اجتهاد رأى ، وأما من قال : إن خروجها فاحشة ، فهو جائز في كلام العرب ، غير أن الأظهر أن خروجها غير الفاحشة^(١) ، أو المعنى: " لا تملكون منهن شيئاً من الضرب والهجران والتأديب ، إلا أن يأتين بفعلة فاحشة مبينة؛ أي: واضحة ظاهرة فحشاً وقبحاً؛ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف"^(٢).

ثم صرح صلى الله عليه وسلم بعقوبة الإتيان بفاحشة مبينة ، " فَإِنْ فَعَلَنْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ"^(٣) ، وقوله فإن الله قد أذن لكم يعني ورود ذلك في القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ الرَّجَالُ قَوْمُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ النساء: ٣٤ ، وهذا تأكيد على ان الفاحشة المبينة ليس الزنا بل البذائة وسوء العشرة وعدم التعفف ، لان العقوبة التي وردت في الخطبة بحق من ارتكبت فاحشة مبينة ، هي ذاتها التي وردت في القرآن الكريم بحق التي يخشى نشوزها ، والنشوز غير الزنا ، فإن فعلن: تلك الفاحشة المبينة ، فاهجروهن أي: فارقوهن في المضاجع ، أي: في المراقد والمفارش، فلا تدخلوهن تحت لحفكم وكيسانكم، ولا تباشروهن، فيكون كنايةً عن الجماع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح - بتشديد الراء المكسورة وبالحاء المهملة - أي: غير مجرح؛ أي: ضرباً لا يكسر عظماً، ولا يجرح لحماً؛ أي: ضرباً خفيفاً ، فإن أطعنكم، أي: رجعن إلى طاعتكم بترك النشوز فلا تبغوا عليهن أي: فلا تطلبوا لهن سبيلاً إلى الضرب ولا سبباً له، ولا تعتدوا عليهن

(١) ابن بطال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي ، شرح صحيح البخارى ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط٢ ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م ، ج ٧ ص ٤٩٨ .

(٢) البويطي ، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهزري الكري ، شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى» ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م ، ج ١١ ص ٣٣ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

بالتوبيخ والإذابة؛ أي: فأزبلوا عنهن التعرض، واجعلوا ما وقع لهن كأن لم يكن؛ لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له (١).

وأخيراً فإن القول ان فاحشة مبينة تعني الزنا كما تقدم قد يترتب عليه سؤالاً: هل العقوبة التي وردت في الخطبة للفاحشة المبينة قبل تشريع عقوبة الرجم للزاني المحصن، ام بعدها وتكون ناسخة لها؟ في الحقيقة ان القرآن الكريم نص على عقوبات للزاني المحصن، فقوله عز وجل: ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ النساء: ١٥، هنا لم يقيد الفاحشة بالمبينة وإنما ذكر الشهود على ذلك، وكذلك سياق الآية يدل على أن المراد بالفاحشة هنا الزنا وليس كل فاحشة زنا لكن كل زنا فاحشة، فعن ابن عباس قال: هؤلاء الآيات قبل أن تنزل سورة النور في الجلد، فنسختها هذه الآية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النور: ٢، قال: فالسبيل الذي جعله الله عز وجل لهنَّ الجلد والرجم، فإذا جاءت اليوم بفاحشة مبينة، فإنها تُخْرَجُ وَتُرْجَمُ بِالْحِجَارَةِ (٢)، وربما يقع اللبس بسبب ورود لفظه الفاحشة هنا بمعنى الزنا، الصحيح انها هنا تعني الزنا وقد تقدم الحديث انها لا تعني الزنا، والسبب انها هنا وردت معرفة بأل التعريف، كما تقدم قول القرطبي إذا وردت معرفة فتعني الزنا وإذا وردت نكرة فلا تعني الزنا كما مر بنا قبل قليل، وكذلك النكرة في العربية تدل على العموم والمعرفة تدل على الخصوص وهذا تأكيد لكلام القرطبي.

وعقوبة أخرى للزنا وردت في القرآن الكريم، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعْذَوْهُمَا إِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النساء: ١٦، كانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت، وكان الرجل إذا زنى أودى بالتغيير والضرب بالنعال قال: ثم أنزل الله عز وجل: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ النور: ٢(٣)، قال: وإن كانا مُحْصَنَيْنِ

(١) البويطي، شرح سنن ابن ماجه، ج ١١ ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ/٨٣٨م)، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المنديفر، ط ٢، مكتبة الرشد وشركة الرياض، الرياض، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ١٣٢.

(٣) وسورة النور مدنية متأخرة النزول، ترتيبها ١٠٢ نزولاً، الملا حويش، مختصر تفسير بيان المعاني، ص

٥٧٤؛ نزلت قبل سورة الحج التي نزلت سنة ٩ للهجرة، ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣ ص ٢٣.

رُجِمَا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١) ، الْآيَاتَانِ ﴿ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ النِّسَاءُ : ١٥ ، ﴿ وَالَّذَانَ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعَادُوهُمَا ﴾ النِّسَاءُ : ١٦ ، فالأولى دلت على أن حد الزانية في ابتداء الإسلام الحبس الى أن تموت أو يجعل الله لها سبيلا وهو عام في البكر والثيب والثانية أفضت أن حد الزانيين الأذى فظهر من الآيتين أن حد المرأة كان الحبس والأذى جميعاً، وحد الرجل كان الأذى فقط ونسخ الحكمان بقوله النور: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ (٢) ، مما تقدم من أحكام في الزنا ، من آيات لا يتعارض مع ورد في خطبة حجة الوداع، لكن ما ورد من قول لابن عباس في اعلاه أن الرجم للزانيين المحصنين كان بالسنة ، هذا يدل ان السنة نسخة حكم القرآن الكريم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الثيب بالثيب الرجم والبكر جلد مائة وتغريب عام (٣) ، كان البكران إذا زنيا عيرا وشتما فنسخ الله ذلك بالآية التي في سورة النور (٤) ، وقد ورد في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عمل بحكم الرجم للزانية المحصنة : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَرَبِيعِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَى بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَامَ حَصْمُهُ فَقَالَ صَدَقَ أَفْضَى بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَرَزَنِي بِأَمْرَاتِهِ فَقَالُوا لِي عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ فَجَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةِ مِنَ الْعَنَمِ وَوَلِيدَةٍ ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَقَالُوا إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِائَةً وَتَغْرِيْبٌ عَامٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَفْضَيْنِ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ أَمَّا الْوَلِيدَةُ وَالْعَنَمُ فَرُدُّ عَلَيْكَ وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدٌ مِائَةً وَتَغْرِيْبٌ عَامٌ وَأَمَّا أَنْتَ يَا أَنْتَيْسُ لِرَجُلٍ فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا فَارْجُمُهَا فَعَدَا عَلَيْهَا أَنْتَيْسُ فَرَجَمَهَا" (٥).

فهل يصح نسخ حكم في القرآن الكريم بالسنة النبوية؟ ، وقد تقدم نقاش ذلك في هذا البحث، وللفائدة نذكر قول ابن الجوزي : " نقول لا يجوز نسخ القرآن بالسنة" (٦) ، ونسخ القرآن

(١) ابن سلام ، ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٣٢ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٧ ص ٣٥ ، رقم الحديث : ٢٦٩٥ .

(٤) ابن الجوزي ، المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، ص ٢٤ .

(٥) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٥٥٧ ، رقم الحديث : ٢٦٤٩ .

(٦) وشروط النسخ خمسة أحدهما أن يكون الحكم في الناسخ والمنسوخ متناقضا فلا يمكن العمل بهما والثاني أن يكون حكم المنسوخ ثابتا قبل ثبوت حكم الناسخ والثالث أن يكون حكم المنسوخ ثابتا بالشرع لا بالعادة والعرف فإنه إذا ثبت بالعادة لم يكن رافعه ناسخا بل يكون ابتداء شرع آخر والرابع كون حكم الناسخ مشروعاً بطريق النقل كثبوت المنسوخ فأما ما ليس مشروعاً بطريق النقل فلا يجوز أن يكون ناسخاً للمنقول ولهذا إذا ثبت حكم منقول لم يجز

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعبيد حمد الجبوري

بالسنة المتواترة وهذا أيضا فيه خلاف كثير بين العلماء فمنهم من أجاز ومنهم من منع^(١) ، وقول بعضهم إن قوله عليه الصلاة و السلام لا تقتلوا أهل الذمة ناسخ لقوله تعالى اقتلوا المشركين فيه نظر إذ هو تخصيص لا نسخ ، قال بعض المحققين وأجود ما قيل هو أن السنة مبينة لا ناسخة^(٢) ٩ - وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اغْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيِّنًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ^(٣) ، بين رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الفقرة من خطبة يوم عرفة ، والتي اعادها في خطبة أوسط أيام التشريق ، بين سبيل الهداية والرشاد، ألا وهو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه السلام ، وهذا القول مستوحى من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ النساء: ٥٩ ، وقوله تعالى : ﴿ مَا آفَاةَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ ﴾ الحشر: ٧ ، وقد وردت هذه الوصية في كثير من الاحاديث النبوية : "أني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما أخذتم بهما أو عملتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض"^(٤) ، وقد وردت احاديث اكدت على كتاب الله وعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم " قال : كأني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى و

نسخه بإجماع ولا بقياس والخامس كون الطريق الذي ثبت به الناسخ مثل طريق ثبوت المنسوخ أو أقوى منه ولهذا نقول لا يجوز نسخ القرآن بالسنة ، ابن الجوزي ، المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، ص ١٢ - ١٣ .

(١) تقدم الحديث عنه في ص ٥ هامش ٦ من هذا البحث ، من قول : الكرامي ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، ص ٣٤-٣٦ .

(٢) الكرامي ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، ص ٣٤-٣٦ ؛ للعلماء في هذا خمسة أقوال فمنهم من يقول ينسخ القرآن القرآن والسنة وهذا قول الكوفيين ، ومنهم من يقول ينسخ القرآن القرآن ولا يجوز أن تنسخه السنة وهذا قول الشافعي رحمه الله في جماعة معه ، وقال قوم ينسخ السنة القرآن والسنة ، وقال قوم ينسخ السنة السنة ولا ينسخها القرآن ، والقول الخامس : الأقوال قد تقابلت فلا أحكم على أحدها بالأخر . النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي أبو جعفر ، الناسخ والمنسوخ ، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٨هـ ، ص : ٥٤ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٤) البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج ١٠ ص ١١٤ ، رقم الحديث : ٢٠١٢٤ ؛ الدارقطني ، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي ، سنن الدارقطني ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدن ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ج ٤ ص ٢٤٥ ، رقم الحديث : ١٤٩ .

عترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" (١) ، وفي احاديث عترتي أهل بيتي " عن جابر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء فخطب فسمعتة وهو يقول : أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيت" (٢) ، وفي حديث أهل بيتي " إني قد تركت فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض" (٣) ، وقد ورد في كتب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعاد هذا القول بعد ايام في طريق عودته من حجة الوداع " لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن" (٤) ثم قال: كأني قد دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ثم قال: الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" (٥).

١٠ - تَعَلَّمَنَّ أَنْ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظْلِمَنَّ أَنْفُسَكُمْ (١) ، وركز في خطبته في يوم عرفة على رابطة الاخوة بين المسلمين ، ثم اعاد قوله في خطبة أوسط أيام التشريق ، منطلقاً من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ الحجرات: ١٠ ، كما ورد في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها ما أورده البخاري ، " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٧) ، ونعلم أن الاسلام قرر

(١) الحاكم النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، ج ٣ ص ١١٨ ، رقم الحديث : ٤٥٦٧ .

(٢) الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(ت : ٣٦٠هـ / ٩٧٠م) ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م) ، ج ٣ ص ٦٦ ، رقم الحديث : ٢٦٨٠ .

(٣) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٥ ص ١٥٣ ، رقم الحديث : ٤٩٢١ .

(٤) دُوْحَاتٌ : جَمْعُ دَوْحَةٍ وَهِيَ الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ ، ابن حجر ، فتح الباري ج ٦ ص ٦ ؛ (قمم) قَمَّ الشَّيْءَ قَمًّا كَنَسَهُ ، ابن منظور ، لسان العرب ج ١٢ ص ٤٩٣ .

(٥) قال ابو الطفيل قلت لزيد بن ارقم : سمعتة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بأذنيه ، قال أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ٤ ص ٤١٦ .

(٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

(٧) صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٢٧ ، رقم الحديث : ٢٤٤٢ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

الأخوة بين المسلمين ووضع لهذه الأخوة أسساً : " أولها : المحبة وعدم الغل ، ثانيها : الرحمة ، ثالثها : أداء الحقوق ، رابعها : نصره وعدم خذلانه أو احتقاره أو الانتقاص منه ، خامسها : تقديم النفع له وعدم الإضرار به " (١) ، وأما هذه الأخوة حرمة مال المسلم مالم يتنازل عن شيء بمحض إرادته واختياره، والله تبارك وتعالى شاهد وراقب (٢).

١١ - اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ فَذَكِّرْ لِي أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ (٣) ، ثم جاء التأكيد على التبليغ في الخطب الثلاثة في حجة الوداع ، وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم هل بلغت أي بلغت ما أمرتني به، وإنما قال ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان التبليغ فرضاً عليه (٤) ، قال : اللهم أشهد أي لي وعليهم (٥) .

١٢ - وَالْوَالِدُ لِلْفَرَّاشِ، وَاللِّعَاطِرِ (٦) الْحَجَرِ (٧) ، هذا النص الذي ورد في خطبة يوم عرفة ثم اعاده صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم النحر ، فيه حكمين ، الأول: إلحاق نسب المولود بوالده إن كان في انتسابه شك ، وقال الفرّاش أي صاحب الفرّاش ، كناية عن الزوج لأنه هو صاحب الفرّاش الشرعي ، والثاني: حكم العهر أي: الزنا ، الحجر ، وقوله صلى الله عليه وسلم : (وللعاهر الحجر) : العاهر : الزاني أو الزانية ، وقيل : معناه : أن الحجر يرجم به الزاني المحصن ، وقيل : معناه : الزاني له الخيبة ولا حظ له في الولد ؛ لأن العرب تجعل هذا مثلاً في الخيبة ، كما يقال :

(١) محمد عبدالغني ، كتاب خطبة حجة الوداع ، ص ٢٢ .

(٢) محمد عبدالغني ، كتاب خطبة حجة الوداع ، ص ٨٩ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٥٥ .

(٤) الساعاتي ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت: ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م) ، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، ج ٢١ ص ٢٧٧ .

(٥) الملا علي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ص ١٣٧ .

(٦) عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : رأيت إن نفاه بعد ما تضعه ؟ قال يلاعنها والولد لها قلت : أو لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : الولد للفرّاش وللعاهر الحجر ؟ قال : نعم إنما ذلك لأن الناس في الإسلام ادعوا أولاداً ولدوا على فرّاش رجال فقالوا : هم لنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الولد للفرّاش وللعاهر الحجر ، قال العلماء : العاهر الزاني وعهر زنى ومعنى له الحجر : أي الخيبة ؟ ولا حق له في الولد . الهندي ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، ج ١٥ ص ٢٩٦ ؛ لعله أراد المرأة وتوصف المرأة باسم الفاعل مثل امرأة حامل وامرأة عاهر ، ولا يقال امرأة حاملة إلا إذا حملت شيء على ظهرها ، والله أعلم .

(٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

له التراب إذا أريدوا الخيبة^(١) ، وجاء اللفظ يقصد به الرجل لأنه قال العاهر ولم يقل العاهرة " العاهر الزاني عهر إلى المرأة أتاها ليلاً للفجور بها غلب على الزنا مطلقاً"^(٢) ، علماً ان لفظة العهر لم ترد في القرآن الكريم ، أما في السنة فلم يرد هذا اللفظ إلا في هذه الرواية ورواية أخرى " أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه و سلم يوم فتح مكة فقال : إن له ولداً من أم فلان من زنا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ويحك أنه لا عهر في الإسلام الولد للفراش وللعاهر الأئلب"^(٣) .

ورد في أعلاه قولين في العاهر، أي: الزاني في مسألة مطالبته بالولد ، قول أن له الحجر بمعنى الخيبة ، ولا إشكال في ذلك ، أما القول الآخر أن حكمه الرجم ، أي: يقام عليه حد الزاني المحصن ويرجم بالحجارة ، وهذا القول يحتاج الى وقفه ، معلوم أن ليس كل من زنا وانجب من الزنا محصن وعليه لا يكون حكمه الرجم بل الجلد ، مما يرجح ان المقصود له الخيبة وليس يرمج ، ثم أن قولهم له الحجر، اي : الرجم ، يحتاج إلى مناقشة هذا الأمر ، هل نسخ حكم الجلد في هذه المرحلة ؟ قد ذكر العلماء أن زمن نزول سورة النور الذي نزل فيها حكم الزنا بالجلد متأخر في النصف الثاني من العهد المدني، وتسلسل نزولها (١٠٢) ^(٤) ، وبما إن سورة النور تحدثت عن حادثة الإفك بعد زمن قريب بعد وقوع الحادثة ، وزمن هذه الحادثة عند أهل السير في شعبان السنة السادسة للهجرة ^(٥) هذا يعني ان نزول حكم الجلد سابق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للعاهر للعاهر الحجر في خطبة حجة الوداع ، مما يستلزم أن حكم آية الجلد قد نُسخ ، والحقيقة ان العلماء قالوا بذلك ، لكن لا توجد آية في القرآن الكريم تدل على حكم الرجم ، ولكن قالوا أن السنة نسخت

(١) القاضي عياض ، إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ، ج ٤ ص ٣٣٦ .

(٢) الأمير ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأخير (ت: ١١٨٢هـ/١٧٦٨م) ، التَّوْبِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم ، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣) الإمام سعيد بن منصور ، سنن الإمام سعيد بن منصور ، ص ٢٨٣ ، ولفظ الأئلب ، لم اجد لها معنى في كتب غريب الحديث ولا كتب اللغة ، لعلها تصحيف في الحديث في النسخة المحققة ونقلها المحقق كما هي ، وربما هي الأئلب .

(٤) الملا حويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص ٥٧٤ .

(٥) الواقدي ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) ، كتاب المغازي ، تحقيق مارسن جونس ، ط ٣ ، عالم الكتب (بيروت - ١٩٨٤ م) ، ج ١ ص ٤٠٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ ص ٢٢٧ ؛ ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، المكتبة القيمة ، القاهرة ، ج ٢ ص ١٠٥ .

الآية ، وخصص الحديث ، عُموم آية الجلد الآتية في سورة النور ، فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب، وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح أن رسول الله رَجَمَ مَاعِزًا، وكان قد أُخْصِنُ وسواء في هذا الحكم المسلم، واليهودي؛ لأنه ثَبَّتَ في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رَجَمَ يهوديين زَنِيًا، وكانا قد أَحْصَنَا^(١).

وقد تقدم الحديث عن الخلاف في هذا الأمر وقول بعض العلماء بعدم جواز نسخ السنة للقرآن ، وتقدم أيضاً إن الشاهد على نسخ السنة للآية في أمر الوصية قد تبين ان الذي نسخ آية الوصية هي آية المواريث وليست السنة^(٢) ، تجدر الإشارة الى قول بعضهم ان هناك آية في الرجم قد نسخت ، والتي نسخت تلاوتها وبقي حكمها "ما نسخ تلاوته دون حكمه: أخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي بن كعب قال: كانت سورة الأحزاب توازي سورة النور، فكان فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما^(٣)، وقال عمر: لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي ، رواه البخاري في صحيحه معلقاً^(٤)، ولو كانت التلاوة باقية ولم تنسخ لبادر عمر إلى كتابتها في المصحف، ولم يعرج على مقال الناس"^(٥) ، إلا ان قولهم هذه الآية في سورة النور فيه إشكال "فيروى أن سورة النور كانت بها آية هي: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله، وأن تلاوة هذه الآية قد نسخت وبقي حكمها"^(٦) ، والإشكال إن آية الجلد كذلك في سورة النور فكيف تنزل آيتين في سورة واحدة وفي وقت واحد كل منها فيه حكم مختلف عن الآخر ؟ ولم يذكر أحد أن

(١) الهري ، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م ، ج ٥ ص ٤٦٥ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٣ ص ١٠٠٨ ، حديث رقم: ٢٥٩٦ .

(٣) ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي أبو حاتم، الدارمي، النبستي (ت: ٣٥٤هـ) ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ج ١٠ ص ٢٧٣ ، رقم الحديث : ٤٤٢٨ .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٦ ص ٢٥٠٣ ، حديث رقم: ٦٤٤٢ .

(٥) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٢ ص ٣٦ ؛ ينظر : النبهان ، محمد فاروق ، المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، دار عالم القرآن ، حلب ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ١٥٠ .

(٦) محمد عبد السلام كفاي وعبد الله الشريف ، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية ، بيروت بيروت ، ص ١١٧ .

هذه الآية اسبق من آية الجلد في ترتيب آيات سورة النور أو تأتي بعدها ، ويؤيد ذلك الاشكال ما أورده القرطبي من أن هذه الآية في سورة الأحزاب^(١) .

علماً أن بعضهم عارض هذا القول فقالوا: " وكثير من العلماء يرى أن هذا القول كان من أحاديث الرسول، ولم يثبت بالتواتر أنه من القرآن الكريم، فلا معنى لأن يكون في القرآن الكريم ما تنسخ تلاوته ويبقى حكمه "^(٢) ، وقد روي "حديث زيد بن ثابت أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"^(٣) ، وعلق آخرون " وفي هذا سؤالان الأول ما الفائدة في ذكر الشيخ والشيخة وهل قال المحسن والمحصنة وأجاب ... عن هذا بأنه من البديع في المبالغة وهو أن يعبر عن الجنس في باب الذم بالأنقص فالأنقص وفي باب المدح بالأكثر والأعلى فيقال لعن الله السارق يسرق ربع دينار فتقطع يده والمراد يسرق ربع دينار فصاعداً إلى أعلى ما يسرق ... الثاني أن ظاهر قوله لولا أن يقول الناس الخ أن كتابتها جائزة وإنما منعه قول الناس والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه وإذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لأن هذا شأن المكتوب وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر رضي الله عنه ولم يعرج على مقال الناس لأن مقال الناس لا يصلح مانعاً ، وبالجمله فهذه الملازمة مشكلة ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد والقرآن لا يثبت به وإن ثبت الحكم ومن هنا أنكر ... عد هذا مما نسخ تلاوته قال لأن خبر الواحد لا يثبت القرآن قال وإنما هذا من المنسأ لا النسخ وهما مما يلتبسان والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه ويثبت أيضاً وكذا قاله في غيره القراءات الشاذة كإيجاب التتابع في صوم كفارة اليمين ونحوهم أنها كانت قرآناً فنسخت تلاوتها لكن في العمل بها الخلاف المشهور في القراءة الشاذة "^(٤) ، خلاصة القول ان ما ورد في هذه الفقرة هو تأكيد لأحكام سابقة ذكر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهميتها مستغل كثرة من حضر موسم الحج حتى يصل البلاغ الى الجميع .

١٣ - وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ نَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا^(٥) ، ورد هذا القول وفيه ثلاثة محاور: الاول النهي عن

(١) تفسير القرطبي ، ج ١٤ ص ١١٣ .

(٢) محمد عبد السلام كفاي وعبد الله الشريف ، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات ص ١١٧ .

(٣) القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ٨٩ ؛ النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، سنن النسائي الكبرى ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ، ج ٤ ص ٢٧٠ ، رقم الحديث : ٧١٤٥ .

(٤) الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٢ ص ٣٦ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص ٥٥٥ .

الانتماء الى غير الأب الشرعي ، والثاني النهي عن موالاته غير صاحب الحق بالولاء ، والثالث جزء من وقع منه هذا الفعل ، وقد ورد في القرآن الكريم النهي ان يدعى المسلم الى غير أبيه لقوله تعالى : ﴿ اَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءَابَاءَهُمْ فِإَحْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ الأحزاب: ٥ ، اما ما ورد هنا فهو نهى عن أن يدعي المرء غير أبيه ، وورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار" (١) ، وجاء في شرح الحديث " قوله: ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله ، كذا وقع هنا كفر بالله ولم يقع قوله: بالله في غير رواية أبي ذر ولا في رواية مسلم، وإن ثبت ذلك فالمراد من استحلال ذلك مع علمه بالتحريم، وعلى الرواية المشهورة فالمراد كفر النعمة، وظاهر اللفظ غير مراد وإنما ورد على سبيل التخليط والزجر لفاعل ذلك، أو المراد بإطلاق الكفر أن فاعله فعل فعلا شبيها بفعل أهل الكفر، ... وقوله: ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار، ... ولفظ نسب أولى ما قدر لوروده في بعض الروايات، وقوله: فليتبوأ ، أي ليتخذ منزلا من النار، وهو إما دعاء أو خبراً بلفظ الأمر، ومعناه هذا جزاؤه إن جوزي، وقد يعنى عنه" (٢) ، ومن خلال شرح الحديث تبين أن من ادعى نسب غير نسبه وهو يعلم أيضاً مشمول بالجزاء الذي ورد في الحديث ، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم " لما قدم وفد كندة على النبي صلى الله عليه وسلم قال له أبو الخير واسمه الجُفَشِيثُ (٣) هكذا قال بالجيم وضمها يا رسول الله أنتم منا يا بني هاشم قال: كذبتم نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننقي من أبنينا" (٤) .

أما فيما يخص أمر الولاء فجاء في السيرة أن الولاء للمعتق وليس لأحد أن يشترط أن يكون له الولاء ، وليس للمولى أن يوالي غير مولاه " عن عائشة رضي الله عنها أنها أرادت أن تشتري بريرة فتعتقها فقال أهلها: نبيعكها على أن ولاءها لنا، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

(١) البخاري ، صحيح البخاري، ج ٣ ص ١٢٩٢ ، حديث رقم : ٣٣١٧ ؛ مسلم، صحيح مسلم ، ج ١ ص ٧٩ ، حديث رقم : ١١٢ ، واللفظ للبخاري .

(٢) ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، ج ٦ ص ٥٣٩ .

(٣) الجفشيش الكندي ويقال الحضرمي يكنى أبا الخير يقال اسمه جرير بن معدان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد كندة وخاصمه إليه رجل في أرض ، ينظر : ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٦٣هـ/٦٨٢م) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، المحقق: علي محمد الجاوي ، دار الجيل، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ج ١ ص ٢٧٦ .

(٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، ج ١ ص ٢٧٦ .

لا يمنعك ذلك، فإنما الولاء لمن أعتق"^(١) وقد وردت هذه الرواية في الصحيحين في لفظ آخر فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " جاءت بريرة فقالت إني كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني فقالت عائشة إن أحب أهلك أن أعدها لهم عدة واحدة وأعتك فعلت ويكون ولاؤك لي ، فذهبت إلى أهلها فأبوا ذلك عليها فقالت إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم ، فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألني فأخبرته فقال : خذيها فأعتقيها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق ، قالت عائشة فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فما بال رجال منكم يشترطون شروطا ليست في كتاب الله فأیما شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ففضاء الله أحق وشرط الله أوثق ما بال رجال منكم يقول أحكمم أعتق يا فلان ولي الولاء فإنما الولاء لمن أعتق "^(٢) .

اما جزاء من ينتسب الى غير أبيه وغير قومه ، أو يوالي غير موالیه ، لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يقبل منه صرف ولا عدل ، واللجنة : " اللعن من الله: هو إبعاد العبد لسخطه ومن الإنسان الدعاء بسخطه ، اللعنة: شرعاً إبعاد الله من رحمته في الدنيا بانقطاع التوفيق وفي العقبي بالابتلاء بالعقوبة"^(٣) ، وقد وردت هذه الصيغة من اللعن في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ آل عمران: ٨٧ ، اما معنى لا يقبل منه صرف ولا عدل كما ورد في الآية الكريمة ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لِبَعْبٍ وَلَهُمْ وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ ﴾ الأنعام: ٧٠ ، يعني: "إن تعدل كل عدل، يعني: كل فداء، يقال منه: عدل يعدل، إذا فدى، عدلاً، ومنه قول الله ، وهو ما عادله من غير نوعه"^(٤) .

المبحث الثاني : الدراسة التاريخية لما ورد في خطبتي يوم النحر وأوسط أيام التشريق (يوم النفر الأول) :

(١) الصالح ، محمد بن يوسف الصالح الشامي ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، ج ٩ ص ٢٨٩ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج ٢ ص ٩٠٤ رقم الحديث: ٢٤٢٤ ؛ مسلم صحيح مسلم، ج ٢ ص ١١٤١ رقم الحديث : ١٥٠٤ .

(٣) البركتي ، محمد عميم الإحسان المجددي ، التعريفات الفقهية ، دار الكتب العلمية ، (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ، ص ١٨٨ .

(٤) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١١ ص ٤٤٧ .

في هذا المبحث سأوضح ما ورد في خطبتي يوم النحر ، وأوسط أيام التشريق (يوم النفر الأول) ، والذي لم يرد في خطبة يوم عرفة ، فقد تم دراسة الكثير مما ورد في هاتين الخطبتين مع دراسة خطبة يوم عرفة كونه معاد في الخطبتين ، فلا يدرس هنا منعنا للتكرار .

أولاً : خطبة يوم النحر :

١ - أي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال: أليس اليوم النحر؟ قلنا: بلى! قال: أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم! قال: فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى! قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليست البلدة الحرام؟ قلنا: بلى! قال: فإن دماءكم وأموالكم، قال وأحسبه قال وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم^(١) .

في هذه الفقرة التي لم يذكرها في خطبة يوم عرفها ، وذكرها في خطبة يوم النحر ثم اعاها في خطبة أوسط أيام التشريق ، يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً وليس مستفهماً ، ومؤكداً على اهمية ما ذكر ثم ربط حرمة دماء المسلمين واموالهم واعراضهم بحرمة يوم النحر وشهر ذي الحجة وحرمة البلد الحرام .

عن عمرو بن الأحوص قال سمعت رسول الله يقول: في حجة الوداع أي يوم النحر ، أي يوم هذا قالوا يوم الحج الأكبر، ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ التوبة: ٣ ، أي أعلام يوم الحج الأكبر ، أي يوم العيد لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه ولما روى أنه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحجر الأكبر^(٢) ، وقال أي شهر هذا أراد بهذا الاستفهام أن يقرر في نفوسهم حرمة الشهر والبلدة واليوم ليبيني عليه ما أراده قلنا الله ورسوله أعلم رعاية للأدب وتحريزا عن التقدم بين يدي الله ورسوله وتوقفا فيما لا يعلم الغرض من السؤال عنه فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال أليس هذا الشهر أو اسمه ذا الحجة ، قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد البلدة ، قلنا بلى ، قال فأأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس هذا اليوم يوم النحر قلنا بلى ولعل فائدة السؤال على هذا

(١) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢) الملا علي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ص ١٤٨ .

المنوال مع تكرر الحال ليكون أوقع في القلب وأحفظ في النفس قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم أي تعرضكم لبعضكم في دمائهم وأموالهم وأعراضهم^(١) عليكم حرام أي محرم حرمة شديدة كحرمة يومكم هذا ، إنما شبهها في الحرمة بهذه الأشياء لأنهم كانوا لا يرون استباحة تلك الأشياء وانتهاك حرمتها بحال وستلقون ربكم أي يوم القيامة فيسألكم عن أعمالكم أي القليلة والكثيرة^(٢).

٢ - ثم انكفأ إلى كبشين أملحين فذبحهما وإلى جزية من الغنم فقسّمها بيننا^(٣) ، وردت هذه الفقرة في صحيح مسلم أنها كانت في خطبة يوم النحر ، ولم ترد في خطبتي يوم عرفة وأوسط أيام التشريق ، ، ويبدو ان ورود ذبح الكبشين في هذه الخطبة وهم ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق معه الهدى (مئة بدنة) في حجة الوداع ، ذكر جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرك على بن أبي طالب في الهدى، وأن جماعة الهدى مائة من الابل، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بدنة^(٤) ، فلا مناسبة لذبح الكبشين بعد ان نحر كل هذه الابل ، وحديث البخاري صريح بأن ذبح الكبشين كان في المدينة ، " عن أنس رضي الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن معه بالمدينة الظهر أربعاً والعصر بذى الحليفة ركعتين ثم بات بها حتى أصبح ثم ركب حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبح وكبر ثم أهل بحج وعمرة وأهل الناس بهما فلما قدمنا أمر الناس فحلوا حتى كان يوم التروية أهلوا بالحج ، قال ونحر النبي صلى الله عليه وسلم بدنات بيده قياماً وذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

(١) العرض بالكسر موضع المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه أو سلفه . الملا علي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) الملا علي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ج ٩ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٣٠٥ ، حديث رقم : ١٦٧٩ ، وورد في الفتح الرباني ، قوله: ثم انكفأ إلى آخر الحديث وهم من ابن عون فيما قيل وإنما رواه ابن سيرين عن أنس فادرجه ابن عون هنا في هذا الحديث فزواه ، عن ابن سيرين عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم (قال القاضي) وقد روى البخاري هذا الحديث عن ابن عون فلم يذكر فيه هذا الكلام فلعله تركه عمداً، وقد رواه أيوب مرة عن ابن سيرين في كتاب مسلم في هذا الباب ولم يذكروا فيه هذه الزيادة (قال القاضي)، والأشبه أن هذه الزيادة إنما هي في حديث آخر في خطبة عيد الأضحى فوهم فيها الراوي فذكرها مضمومة إلى خطبة الحجة وهما حديثان ضم أحدهما إلى الآخر ، وقد ذكر مسلم هذا بعد هذا في كتاب الضحايا من حديث أيوب وهشام عن ابن سيرين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى ثم خطب فأمر من كان ذبح قبل الصلاة أن يعيد ثم قال في آخر الحديث فانكفأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كبشين فذبحهما فقام الناس إلى غنيمة فتوزعوها: هذا هو الصحيح وهو دافع للاشكال ، الساعاتي ، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ج ٢١ ص ٢٧٨ .

(٤) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٣٩١ - ٣٩٣ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

كباشين أملحين^(١) ، وعلق محقق صحيح البخاري على هذا الحديث بقوله : " استوت على البيداء ، قامت ناقته في الصحراء ، قدمنا ، مكة ، فحلوا ، من إحرامهم بأداء أعمال عمرة ، بالمدينة يوم عيد الأضحى ، كباشين مثني كبش وهو ذكر الغنم إذا دخل في السنة الثانية ، أملحين ، مثني أملح وهو الأبيض الذي خالطه سواد " ^(٢).

وقيل في معنى هذه الفقرة ، ثم انكفاً إلى كباشين أملحين، أي انقلب، والأملح هو الذي فيه بياض وسواد، والبياض أكثر ، وإلى جزية من الغنم، فقسمها بيننا ، وهي القطعة من الغنم، وأصلها القليل من الشيء وكأنه قسم مجموعة قليلة من الشياه على أصحابه الذين لا يملكون ذبائح، ليذبحوها^(٣).

٣ - وودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع^(٤) ، ويقال لها حجة البلاغ وحجة الإسلام لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولأنه ذكر لهم ما يحل وما يحرم وقال لهم هل بلغت ولأنه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها وقيل لإخراج الكفار الحج عن وقته ، لأن أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل عام أحد عشر يوماً حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته^(٥)، فعن ابن عمر، وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمْرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَذَا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، وَدَعَّ النَّاسَ، فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ^(٦) .

(١) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٦٢ ، رقم الحديث : ١٤٧٦ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٥٦٢ ، رقم الحديث : ١٤٧٦ .

(٣) الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ٦ ص ٥٤٦ .

(٤) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ٣٩١/٤-٣٩٣ .

(٥) الحلبي ، علي بن برهان الدين الحلبي (ت : ١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م) ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ ، ج ٣ ص ٣٠٧ .

(٦) البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت : ٥١٦هـ / ١١٢٢م) ، شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق، بيروت ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ، ج ١٤ ص ٣٦ .

٤ - إن أمر عليكم عبد مجدع - حسبها قال أسود - يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا^(١)، هذه الفقرة وردت في خطبة يوم النحر فقط ولم تكرر في بقية الخطب ، وهي من الزيادات التي وردت على رواية ابن كثير، وتحث على السمع والطاعة لولي الأمر والمشروطة ان يقودهم بكتاب الله ، وقد وردت آية تحث على طاعة ولي الأمر لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء: ٥٩ ، في هذه الآية رغم أنه سبحانه قرن طاعة ولي الأمر بطاعته وطاعة رسوله إلا انه لم يذكر لفظه وأطيعوا أولي الأمر كما ذكرها مع الله ورسوله ، وكأنه أراد ان تكون طاعة ولي الأمر امتداد لطاعة الله ورسوله فإن أطاع الله وأطاع رسوله وجبت طاعته ، ، قال: هم أهل الآية التي قبلها ﴿ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ النساء: ٥٨ ... هم الولاة، أمرهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها^(٢) ، واختلف العلماء في أولي الأمر من هم الواجب طاعتهم ؟ فقالوا :

أ - قال بعضهم: هم الأمراء ، ويؤيد ذلك ما ورد من أحاديث " عن أبي هريرة وأولي الأمر منكم قال هم الأمراء قال أبو جعفر فدل ذلك أن أولي الأمر المأمور بطاعتهم هم من هذه صفته أمراء كانوا أو غير أمراء"^(٣)، وفي رواية نزلت في رجل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم على سرية ، نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ إِذْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ^(٤) ، وفي قول : أصحاب السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو هم السلاطين^(٥) .

ب - وقال آخرون: هم أهل العلم والفقهاء ، عن مجاهد قال: هم الفقهاء والعلماء^(٦) ، وعن مجاهد

(١) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٧٥ ، العازمي، موسى بن راشد ، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» ، تقریظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس ، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، ج ٤ ص ٥٣٣ - ٥٣٧

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٨ ص ٤٩١ .

(٣) الطحاوي ، الإمام أبو جعفر الطحاوي ، شرح مشكل الآثار ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ج ٤ ص ٩١ .

(٤) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ١١ ص ١٧٥ ، رقم الحديث : ٤٥٨٣ .

(٥) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٨ ص ٤٩٨ .

(٦) الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٣ ص ٢٩٢ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعبيد حمد الجبوري

في قوله تعالى وأولي الأمر منكم قال: أولوا العقل والفضل في دين الله تعالى^(١) وعن ابن عباس يعني: أهل الفقه والدين^(٢) .

ت - وفي قول : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، عن مجاهد في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ﴿النساء: ٥٩﴾ قال: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم^(٣) .

ث - وفي قول : هم أبو بكر وعمر رحمهما الله ، عن عكرمة: قال: أبو بكر وعمر^(٤) .

قال أبو جعفر: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: هو خطاب من الله ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية، يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء: ٥٩﴾ ، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة^(٥) ، ومن المعلوم ان هذه الطاعة ليس مطلقة بل مقيدة بعمل الخير وعدم فعل المعصية لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا طاعة"^(٦).

٥ - أمك وأباك واختك وإخاك ، ثم ادناك أدناك^(٧) ، هذا القول لم يرد إلا في خطبة يوم النحر ، وفيه وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الأرحام الأدنى ثم الأدنى ، وأصل القول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثعلبة بن زهدم الحنظلي قال : " قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم نفر من بني تميم فانتبهنا إليه وهو يقول يد المعطي العليا ابدأ بمن تعول أمك وأباك

(١) الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ج ٣ ص ٢٩٣ .

(٢) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٨ ص ٥٠٠ .

(٣) الأصبهاني ، حلية الأولياء ، ج ٣ ص ٢٩٣ .

(٤) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٨ ص ٥٠٢ .

(٥) الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٨ ص ٤٩٢ .

(٦) البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو البصري (ت: ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) ، مسند البزار (البحر الزخار) ، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، المدينة ، ١٤٠٩ هـ ، ج ٢ ص ٢٢٥ .

(٧) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ٣٩١/٤ - ٣٩٣ .

وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك"^(١) ، وفي لفظ آخر عن أبي رمة قال : "انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول : بر أمك و أباك و أختك و أخاك ثم أدناك أدناك"^(٢) ، وفي صحيح مسلم أن رجلاً قال : من أحق بحسن الصحبة فذكر الحديث^(٣) ، وفي رواية قال : أيهم أحق بصلتي ثم ذكر الحديث^(٤) ، خلاصة القول إن ما ورد في خطبة يوم النحر في هذه المقالة تأكيد وتذكير من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سابق له لأهمية الأمر .

٦ - ثم قال ما أنزل الله داء الا انزل له دواء إلا الهرم^(٥) ، أما قوله في التداوي فلم يرد إلا في خطبة يوم النحر ، لكن ورد في الحديث الذي ذكره الطبراني عن اسامة بن شريك ، ان ذلك الحديث كان في عرفات ، مما يعني انه في خطبة يوم عرفه ووروده في خطبة يوم النحر وهم ، وجاء في نص الحديث " عن أسامة بن شريك قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات فسلمت عليه وكأن على رؤوس أصحابه الطير فجاءته الأعراب من ههنا وههنا : يا رسول الله علينا حرج في كذا وكذا ؟ علينا حرج في كذا وكذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عباد الله رفع الله الحرج إلا من افترض من امرئ مسلم ظلماً فذلك الذي حرج وهلك ، قالوا : يا رسول الله نتداوى ؟ قال : تداووا فإن الله عز وجل لم ينزل داء إلا وضع له دواء إلا الهرم ، قالوا : يا رسول الله فما خير ما أعطي الناس ؟ فقال : إن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من خلق حسن"^(٦) ، وقد نص القرآن الكريم على الشفاء الشفاء من الأمراض ، : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ ﴿٨٠﴾ الشعراء ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾ النحل : ٦٩ ، وذكر جل في علاه ان القرآن الكريم فيه شفاء للمؤمنين : ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾ الإسراء : ٨٢ .

(١) البيهقي ، سنن البيهقي الكبرى ، ج ٨ ص ٣٤٥ .

(٢) الحاكم النيسابوري ، المستدرک علی الصحیحین ، ج ٤ ص ١٦٧ .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٤ ص ١٩٧٤ ، رقم الحديث : ٢٥٤٨ .

(٤) الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ ، ج ٦ ص ٣٩ .

(٥) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٣٩١ .

(٦) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ١ ص ١٧٩ ، حديث رقم : ٤٦٣ .

٧ - لا تنفق امرأة الا بإذن زوجها قيل ولا الطعام ؟ قال ذاك أفضل أموالنا^(١) ، وهذه القول لم ترد إلا في الزيادات التي أوردها ابن حزم على روايات خطبة يوم النحر ، وهذا القول هو تأكيد لما ورد في الحديث الشريف " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ... وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ..."^(٢) ، وقد اختلف العلماء في جواز انفاق المرأة من مال زوجها: " فهو جائز إذا لم تكن سفية، فإذا كانت سفية لم يجز، وقال الله تعالى: جَاءَكَ وَرُوحُ النِّسَاءِ: ٥ ، وبهذا الحكم قال الجمهور، وخالف طاووس فمنع مطلقاً، وعن مالك لا يجوز لها أن تعطي بغير إذن زوجها ولو كانت رشيدة إلا من الثلث، وعن الليث لا يجوز مطلقاً إلا في الشيء التافه، وأدلة الجمهور من الكتب والسنة كثيرة، واحتج لطاووس بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: لا تجوز عطية امرأة في مالها إلا بإذن زوجها"^(٣) ، ويبدو من سياق الكلام ان انفاقها من مالها إذا كانت راشدة لا يجوز لها ان تنفق منه أكثر من الثلث ، اما الانفاق من مال زوجها فلا يحق لها ان تنفق إلا بإذن زوجها .

٨ - العارية^(٤) مؤداة والمنحة مردودة ، والدين مقضي والزعيم غارم^(٥) ، العارية مؤداة ، والمنحة والمنحة مردودة ، "العارية) بتشديد الياء مأخوذة من العار منسوبة إليه لأنهم يرون العارية عاراً وعبأً وقيل: مأخوذة من التعاور التداول، (مؤداة) أي يجب ردها على مالکها عيناً حال الوجود وقيمة عند التلف ... (والمنحة) بكسر الميم فمهملة بعد النون هي ما يمنح الرجل صاحبه من أرض يزرعها أو شاة يحلبها ثم يردها (مردودة) مضمونه ترد إلى مانحها"^(٦) ، اما معنى الدين مقضي والزعيم غارم : " (وَالزَّعِيمُ) أَي الْكَفِيلُ (غَارِمٌ) قَالَ فِي النِّهَايَةِ الْغَارِمُ الَّذِي يَلْتَزِمُ مَا ضَمِنَهُ وَتَكَفَّلَ بِهِ وَيُؤَدِّيهِ وَالغُرْمُ آدَاءُ شَيْءٍ لَزِيمٍ وَقَدْ غَرِمَ يَغْرِمُ غُرْمًا ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ ضَامِنٌ وَمَنْ ضَمِنَ دَيْنًا لَزِمَهُ آدَاؤُهُ

(١) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٣٩١ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ص ٣٠٥ ، رقم الحديث : ٨٩٣ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ، ج ٥ ص ٢١٨ .

(٤) العارية: هي شرعاً: تملك منفعة بلا بدل وقيل: هو الماعون في قوله تعالى: جَاءَكَ وَرُوحُ النِّسَاءِ: ٥ والعاري: من خَلَعَ ثيابه ، التملك: هو جعل الرجل مالکاً وهو على أربعة أنحاء: الأول: تملك العين بالعرض وهو البيع، الثاني: تملك العين بلا عوض وهي الهبة، والثالث: تملك المنفعة بالعرض وهي الإجارة، والرابع: تملك المنفعة بلا عوض وهي العارية. البركتي ، التعريفات الفقهية ، ص ٦٢ ، ١٤١؛ الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ص ١٨٨ .

(٥) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٣٩٣ .

(٦) الامير ، التنوير شرح الجامع الصغير ، ج ٧ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(والدين مقضى) أي يجب قضاؤه^(١) ، ومن الواضح ان ما تقدم يقع في محور أداء الأمانة وقد تقدم الكلام عن ذلك .

٩ - ومن صلى الصبح فهو في ذمة الله من أخفر الله أكبه الله في النار على وجهه^(٢) . هذه الكلام زيادة على نص الخطبة قد أوردها البزار في مسنده بعد ان ذكر نص الخطبة من رواية أبي بكرة ، علماً أنه أوردها مختصرة وقد ورد الحديث عند غيره ونصه " من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله فلا يطلبنك الله بذمته من شيء فإنه من أخفر الله في ذمته كبه الله على وجهه في النار"^(٣) ، وفي رواية أخرى "من صلى الصبح كان في جوار الله حتى يمسي ، ومن صلى العصر كان في جوار الله حتى يصبح ، فلا تخفروا الله في جواره ؟ فإنه من أخفر الله في جواره طلبه الله ، ثم أدركه ، ثم كبه على منخره"^(٤) أي : في جهنم^(٥) ، وفيه الحث والتأكيد على فضل صلاة الصبح وكان

مستوحى من الآية الكريمة : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، وهذه السورة مكية النزول ، وورد هذا الكلام في خطبة يوم النحر في حجة الوداع من باب التأكيد على أهمية الأمر .

١٠ - ان الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي ، واكد ولو تساوي وبرة واحدة ، وان عليه صلى الله عليه وسلم لما خطب يوم النحر برد احمر^(٦) ، هذه الفقرة من الخطبة لم ترد إلا في خطبة يوم

(١) المباركفوري ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م) ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٤ ص ٤٠١ .

(٢) مسند البزار ، البزار ، ، ٩ / ٨٥ - ٨٨ .

(٣) ابو نعيم الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الهرازي الأصبهاني ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) ، ج ٥ ص ٢٥٢ ، رقم الحديث : ١٤٦٧ .

(٤) ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، فتح الباري ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، ط ٢ ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الدمام ، ١٤٢٢هـ ، ج ٣ ص ٢١٧ .

(٥) ابن رجب ، فتح الباري ، ج ٣ ص ٢١٧ .

(٦) عبدالرزاق الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : حبيب الرحمن الرحمن الأعظمي ، ط ٢ ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٩ ص ٤٨ ، رقم الحديث : ١٦٣٠٧ ، لا يصح ان يكون عليه برد احمر ، فرسول الله محرم وهو في أحد ايام الحج وهو يوم النحر كما جاء في المصادر اعلاه انه محرم وانه خطب قبل ان يذهب الى البيت، أما اذا يرى الشارح ان الخطبة كانت بعد رمي الجمرات

النحر حسب الروايات ، لكن ما أورده الطبراني في مقدمة هذا الحديث يدل على انه كان في طريق العودة من حجة الوداع في غدير خم تحديدا ، مما يعني ان ورود هذا الكلام في خطبة يوم النحر وهم ، " عن أبي إسحاق عن البراء و زيد بن أرقم قالا : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم ونحن نرفع غصن الشجرة عن رأسه فقال : إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي لعن الله من ادعى إلى غير أبيه ولعن الله من تولى غير مواليه والولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر ليس لوارث وصية"^(١) ، ولا يستبعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعاد فقرات من خطب حجة الوداع في خطبته في طريق العودة عند غدير خم ، وكما تقدم بينا ان الكثير من فقرات يوم عرفة قد كررها في خطبة يوم النحر او خطبة أوسط أيام التشريق أو كلاهما وكذلك فقرات خطبة يوم النحر قد أعاد بعضها في خطبة أوسط أيام التشريق ، من باب التأكيد على الأمر لأهميته ، وتصريحه صلى الله عليه وسلم بأن الصدقة لا تحل له ولا لأهل بيته لم تكن المرة الأولى فقد ذكرت الروايات انه ذكر ذلك مرارا ، " عن هرم بن ماهان - رجل من الفرس - قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمت على يده وجعلني في جيش خالد بن الوليد . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله مر لي بصدقة فإني فقير . فقال لي : إن الصدقة لا تحل لي ولا لأحد من أهل بيتي . ثم أمر لي بدينار ... وقد طلب الصدقة : إن الصدقة لا تحل لي ولا لأحد من أهل بيتي معنى وإن لم يذكر في هذه الترجمة أنه مولى فالكلام يدل عليه"^(٢) ، ومعلوم ان مولى القوم يقع عليه ما عليهم من الأحكام، حدث مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له : طهمان أو ذكوان قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا طهمان إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي وإن مولى القوم من أنفسهم"^(٣) ، وفي حديث اسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه دليل على ان حكم عدم جواز الصدقة لرسول الله ولأهل بيته كان في وقت مبكر فروى " وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتَهُ ، فَلَمَّا أُمْسَيْتُ أَخَذْتَهُ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِقُبَاءَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ فَفَرَّبْتَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ كُلُّوا ، وَأَمْسِكْ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ ... قَالَ ثُمَّ انصرفت عنه فجمعت شيئا ، وتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ثم جئته به فقلت

والطواف في البيت والسعي ونحر الهدي والتحلوق فلا ما نع لان يكون قد تحلل من الاحرام وجاز له ليس ما يشاء من الثياب ، الساعاتي ، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ج ٢١ ص ٢٧٤ ، ٢٨٠ .

(١) الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٥ ص ١٩١ ، حديث رقم : ٥٠٦٤ .

(٢) ابن الاثير ، أسد الغابة ص ١٠٨٨ .

(٣) ابن الاثير ، أسد الغابة ص ٥٤٩ .

لَهُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ فَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا ، قَالَ فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ^(١) ، وقد وقعت هذه الحادثة في أيام وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، مما يعني ان عدم جواز أكل الصدقة كان في العهد المكي ، وذكره في حجة الوداع من باب التأكيد عليه .

١١ - أَلَا إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ: لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا^(٢) ، وأكد على أربعة أمور هن عماد الدين ، فنهى عن الشرك بالله تعالى ، وهذا الامر هو اساس الدعوة الاسلامية منذ ان بعث صلى الله عليه وسلم ، فنزل في محكم التنزيل : ﴿ وَذَكَرَ لَكُمْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْجُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ قَالَ لَقَمَنْ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَئِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ لقمان: ١٣ ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ الكهف: ١١٠ ، وحذر من الشرك وعواقبه بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ حُفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴿ الحج: ٣١ ، وفي الحديث عن لقيط بن عامر قال : " قلت : يا رسول الله على ما أبايعك ؟ قال : فبسط يده و قال : على إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و إياك و الشرك و لا تشرك بالله شيئاً أو لا تشرك مع الله غيره " ^(٣) ، وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أبي الدرداء بتسع منها : " لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حرقت " ^(٤) .

اما تحريم قتل النفس فقد تقدم الحديث عنه في هذا البحث ، وهو مستوحى من الآية القرآنية التي حرمت قتل النفس ، بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا ﴾ الإسراء: ٣٣ ، معنى ذلك ان تحريم قتل النفس كان سابق لزمان الخطبة بنص القرآن الكريم.

وتحريم الزنا معلوم في أصل الدين ، فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى والتي تسمى بيعة النساء على شروط منها عدم الزنا^(٥) ، وأن تسمية البيعة الأولى ببيعة

(١) السهيلي ، الروض الأنف ، ج ١ ص ٣٧١ .

(٢) احمد ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، ج ٤ ، ص ٣٣٩ ، حديث رقم : ١٩٠١١ ؛ العازمي ، اللؤلؤ المكنون ، ج ٤ ص ٥٣٣ ، ٥٣٧ .

(٣) الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين ، ج ٤ ص ٦٠٥ .

(٤) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٣ ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، (١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) ، ص ٢٠ .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ٤٢٩ .

النساء مرده ما نزل من القرآن الكريم في شروط بيعة النساء ، فجاءت موافقة لشروط البيعة الأولى إذ قال الحق عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ الممتحنة : ١٢ (١) ، وقد تقدم الحديث عن هذا الامر في الحديث عن فقرة الفاحشة وغيرها فلا مناسبة للتكرار ، وكالعادة لأهمية أمر الزنا ذكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة يوم النحر في حجة الوداع ، ليعلم من جهل ، ويتذكر من نسي ، مستغلاً الأعداد الكبيرة من الحجاج الذين شهدوا الموسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما أمر السرقة فقد صرح القرآن الكريم بحد السارق بقوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة : ٣٨ ، وقد ساوى الشارع الحكيم بين الرجل والمرأة في أمر السرقة ، وخص النساء بالتحذير من السرقة كما ورد في سورة الممتحنة ، وشدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر السرقة ولم يقبل فيه شفاعه فورد في الصحيح القصة المشهورة للمرأة التي سرقت فقال : " أَنْ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنْ خُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاحْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" (٢) ، وهذا الاعلان من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ، للأمور الأربعة ما هو إلا تأكيد على اهميتها وتذكير بها للجموع الغفيرة التي احتشدت في موسم الحج ، ثم أكد على هذه الامور في خطبة أوسط أيام التشريق .

١٢ - أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ (٣) عَلَى الْحَوْضِ أَنْظُرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي، وَسَسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (٤) . هذه الفقرة

(١) وسورة الممتحنة مدنية وتسلسل نزولها (٩١) ينظر : الملا حويش ، مختصر تفسير بيان المعاني ، ص ٥٢٥ . ولم تكن هذه الآية قد نزلت عند بيعة العقبة الأولى ، وإنما سميت كذلك فيما بعد إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء على ما في هذه الآية ، وطابق ما في هذه الآية مع ما بايع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار في بيعة العقبة الأولى ، فأطلق عليها المسلمون فيما بعد بيعة النساء .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٨ ص ٥٨٦ .

(٣) فَرَطُكُمْ أَي مُتَقَدِّمُكُمْ وَأَفْرَطُ فَلَانُ ابْنُهُ أَي قَدَّمَهُ ، قوله أَنَا وَالنَّبِيُّونَ فُرَاطُ الْقَاصِفِينَ أَي مُتَقَدِّمُونَ فِي الشَّفَاعَةِ لعالم كثير ، ابن الجوزي ، غريب الحديث ، ج ٢ ص ١٨٧ .

(٤) احمد ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، ج ٤ ، ص ٤١٢ ، حديث رقم : ٢٣٥٤٤ ؛ العازمي ، اللؤلؤ المكنون ، ج ٤ ص ٥٣٧ .

عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها في خطبة أوسط أيام التشريق ، وهي من باب الإخبار عن أمور الغيب من يوم الحشر ويوم الحساب ، وما يحدث فيها ، فهو من يسبق أمته على الحوض ، وذكر انه صلى الله عليه وسلم ينافس الامم الاخرى بكثرة الاتباع، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم احاديث في الحث على الزواج والتكاثر : "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَمَنْصِبٍ وَمَالٍ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ فَتَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُدُودَ فَإِنِّي مُكَاتِّرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ" (١) ، "وأكثر بكم أي: أفاخر بكثرتم على الأمم السابقة يوم القيامة ، فلا تسودوا وجهي، أي: فلا تؤثروا في وجهي السواد بسبب كثرة معاصيكم؛ والمعنى: فلا تكثرُوا، فلا تصلحوا لأن يفخر بمتلكم" (٢) .

ثم أكد عليهم أن لا عذر لهم بعد هذا البيان (ألا وقد رأيتُموني وسمعتُم مني ، وستسألون عني، فمن كذب علي ، فليتبوأ مقعده من النار) ، أن احاديث الترهيب من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا قد بلغت مبلغ التواتر ، وقد جاء كثير منها في مسند الامام أحمد رحمه الله بعضها خاص بالكذب عليه صلى الله عليه وسلم وبعضها عام فيه وفي غيره ، حديث الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حديث عظيم متواتر ، رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو اربعين رجلاً من الصحابة رضى الله عنهم وقيل انه روي عن اكثر من ستين صحابيا مرفوعا ، وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة قال ولا يعرف حديث اجتمع علي روايته العشرة الا هذا ولا حديث يروي عن اكثر من ستين صحابيا الا هذا(٣).

١٣ - أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذُ رِجَالًا، وَمُسْتَنْقِذُ مَنِّي آخِرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي! ، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ(٤) . وهذه الفقرة أيضاً من باب الاخبار عن الغيب لما يحدث عند البعث ، واعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة أوسط أيام التشريق ، وفي شرح هذا القول ورد " أني مُسْتَخْلَصٌ (بكسر اللام) أناساً من الشر بِشْرِهِمْ من حوضي، وَمُسْتَخْلَصٌ (بفتح اللام) مني آخرون من الخير إلى الشر تطردهم الملائكة عن الشرب من الحوض ، جاء عند مسلم فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟ قال النووي هذا مما اختلف العلماء

(١) البويطي ، شرح سنن ابن ماجة ، ج ١٨ ص ٥٦ .

(٢) البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٧ ، ص ٨١ .

(٣) الساعاتي ، الفتح الرباني ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٤) احمد ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، ج ٤ ، ص ٤١٢ ، حديث رقم : ٢٣٥٤٤ ؛ اللؤلؤ المكنون ، موسى بن راشد العازمي ، ج ٤ ، ص ٥٣٧ .

الجاني وأقاربه الأقرب فالأقرب، ولعلمهم سنوا القتل فيهم، فالمعنى على هذا لا يجنى أحد على غيره فيؤخذ به هو ووالده وولده، ويكون في الحقيقة جنايته على الغير جنايته على نفسه ووالده وولده^(١).
 ١٥ - اَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ، وَصَلُّوا حَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ^(٢) ، في هذه الفقرة من الخطبة التي ذكرها أول مرة في خطبة يوم النحر ثم اعادها في خطبة أوسط أيام التشريق ، وذكر المسلمين بما أمرهم سابقاً بما عليهم من الواجبات، من طاعة لله تعالى، وإقامة الصلاة، وصوم الشهر الفضيل، وأداء الزكاة، وطاعة ولي الأمر بالمعروف ، وجزاء من أدى ذلك ان يدخله الله تعالى الجنة .

قوله أعبدوا ربكم ، قد دلت عليه الآيات الكثيرة في القرآن الكريم ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٣) الذاريات: ٥٦ ، ومجمل هذا القول كأنه مستوحى من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٤) البينة: ٥ ، أما الصلاة فقد فرضت في العهد المكي أي قبل هذا الزمن بخمسة عشر سنة تقريباً ، وجاءت العبادات المفروضة على ترتيب تدريجي ، إذ يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "بعث الله نبيه بشهادة ان لا اله الا الله ، فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة، فلما صدقوا بها زادهم الصيام ، فلما صدقوا بها زادهم الحج ... ثم أكمل لهم دينهم " ^(٥) ، وبالاتفاق إن فرض الصلوات الخمس كان في رحلة المعراج^(٦) والتي تم تحديد زمنها في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، وإنها أول ما فرضت ركعتين ركعتين^(٧) ، والصوم فرض في السنة الثانية للهجرة^(٨) ، روى ابن إسحاق أن الصوم مرّ بثلاث مراحل ، الأولى ان رسول الله صلى الله

(١) الطيبي ، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (١٣٤٢/٥٧٤٣م) ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ، المحقق: د. عبد الحميد هندواي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، والرياض ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ج ٦ ، ص ٢٠٢٠ .

(٢) احمد ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، ج ٥ ، ص ٢٥١ حديث رقم : ٢٢٢١٥ ؛ العازمي ، اللؤلؤ المكنون ، ج ٤ ص ٥٣٣ .

(٣) المروزي ، محمد بن نصر (ت ٢٩٤) ، تعظيم قدر الصلاة ، تحقيق د. عبد الرحمن بن عبد الجبار القربواي ، دار الأرقم ، استانبول ، ١٤٠٦ هـ ، ج ١ ص ٣٥٢ .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٢١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢١٣ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ٢٣١ ، وغيرهم .

(٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ص ٢٨٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ص ٨٨ ، حديث رقم (٣٥٠) .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ص ٢٤٨ ، ٢٤٢ .

عليه وسلم على ثلاثة أمور مهمة تتعلق بما صدق فيها قلب المؤمن ولا يخونها ، قوله: (إخلاص العمل لله) فيه تأكيد لما ورد في القرآن الكريم ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (البينة: ٥ ، (ثلاث لا يغفل) هو أن يقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما حث من سمع مقالته على أدائها علمهم أن قلب المسلم لا يغفل على هذه الأشياء، خشية أن يضلوا بها على ذوي الحقد لما يقع بينهم من التحاسد والتباغض، وبين أن أداء مقالته إلى من يسمعها من باب إخلاص العمل لله تعالى والنصيحة للمسلمين، فلا يحل له أن يتهاون به، لأنه يخل بالخلال الثلاث ، وإنما استوجبت هذه التوصية البليغة؛ لأنها جمعت بين التعظيم والاحلاص لأمر الله تعالى، فإن إخلاص العمل هي مقدمة مطلوبة في كل الأعمال الصالحة^(٢) .

أما النصيحة لولاة المسلمين فهي أصل الدين وشرط من شروط بيعة المسلم ، كما ورد في الحديث الصحيح ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: " بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"^(٣) ، وفي صحيح مسلم " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ"^(٤) ، قال النووي في شرح هذا الحديث : هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمُ الشَّانِ وَعَلَيْهِ مَدَارُ الْإِسْلَامِ ، النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحِظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ ، وَقِيلَ : النَّصِيحَةُ مَأْخُودَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ تَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ، فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلِّ النَّوْبِ ، وَقِيلَ : إِنَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنْ نَصَحَتِ الْعَسَلِ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ ، شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْعِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ ، وَمَعْنَى الْحَدِيثِ : عِمَادُ الدِّينِ وَقَوَامُهُ النَّصِيحَةُ ، وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَمَعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ ، وَأَمْرُهُمْ بِهِ ، وَتَنْبِيهِهِمْ وَتَذَكِيرُهُمْ بِرَفْقٍ وَلُطْفٍ ، وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ

يُحَانَ، يعني أن يؤخذ من الغنيمة شيء، والثاني: ويكون {يُغَلُّ} ينسب إلى الغلول ، ولا أحدًا قرأها بكسر الغين وفتح الياء من الغل وهو الشُّخْنُ (أي الحقد والعداوة والبغضاء)، ومنه قوله في الحديث الآخر: " لا يُغَلُّ عليهنَّ قلب مؤمن دواما" ، ابن عربي ، المسالك في شرح موطأ مالك ، ج ٥ ، ص ٧١ - ٧٢ .

(١) احمد ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ ، حديث رقم : ١٣٣٧٤ ؛ العازمي ، اللؤلؤ المكنون ، ج ٤ ص ٥٣٧ .

(٢) الطيبي ، شرح المشكاة للطبيبي ج ٢ ، ص ٦٨٤ - ٦٨٥ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ج ١ ، ص ٦١ ، حديث رقم : ٥٧ .

(٤) مسلم ، صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٥٣ ، حديث رقم : ٢٠٥ .

يَبْلُغُهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَرَكَ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ ، وَتَأَلَّفَ قُلُوبَ النَّاسِ لِبَطَاعَتِهِمْ ، وَمِنْ النَّصِيحَةِ لَهُمْ الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ ، وَالْجِهَادَ مَعَهُمْ ، وَأَدَاءَ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ ، وَتَرَكَ الْخُرُوجَ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءٌ عِشْرَةٌ ، وَأَنْ لَا يُعْرَوُا بِالتَّنَائِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ ، وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ الْخُلَفَاءَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ يَقُومُ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْوَلَايَاتِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ ، وَقَدْ يُتَأَوَّلُ ذَلِكَ عَلَى الْأَيِّمَةِ الَّذِينَ هُمْ عَلَمَاءُ الدِّينِ ، وَأَنَّ مِنْ نَصِيحَتِهِمْ قَبُولُ مَا رَوَوْهُ ، وَتَقْلِيدُهُمْ فِي الْأَحْكَامِ ، وَإِحْسَانُ الظَّنِّ بِهِمْ^(١) .

اما لزوم الجماعة فواجب شرعي ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من فارق الجماعة وخرج من الطاعة فمات فميتته جاهلية"^(٢) ، وعن الأوزاعي قال : "كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم و التابعون بإحسان : لزوم الجماعة و اتباع السنة و عمارة المساجد و تلاوة القرآن و الجهاد في سبيل الله عز و جل"^(٣) ، وأما قوله فإن دعوتهم تحيط من ورائهم أو هي من ورائهم محيطة فمعناه عند أهل العلم أن أهل الجماعة في مصر من أمصار المسلمين إذا مات إمامهم ولم يكن لهم إمام فأقام أهل ذلك المصر الذي هو حضرة الإمام وموضعه إماما لأنفسهم اجتمعوا عليه ورضوه فإن كل من خلفهم وأمامهم من المسلمين في الأفق يلزمهم الدخول في طاعة ذلك الإمام إذا لم يكن معلنا بالفسق والفساد معروفا بذلك لأنها دعوة محيطة بهم يجب إجابتها ولا يسع أحدا التخلف عنها لما في إقامة إمامين من اختلاف الكلمة وفساد ذات البين^(٤) .

ثانياً : خطبة أوسط أيام التشريق الاضافية :

١ - إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، لا تظلموا أنفسكم، لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض^(٥) . هذه الفقرة من الخطبة لم ترد إلا في خطبة أوسط أيام التشريق ، وهي تتعلق بأمر

(١) (النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) (الصنعاني ، مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، ج ١١ ، ص ٣٣٩ ، حديث رقم : ٢٠٧٠٧ .

(٣) (البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، حديث رقم : ٢٩٥٧ .

(٤) (النميري ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧هـ ، ج ٢١ ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٥) (الدارقطني ، سنن الدارقطني ، ج ٢ ، ص ٨٩ ؛ الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، ج ٨ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

قتال الكفار والمشركين الذي كان زمن تشريعه في نهاية العهد المكي في بيعة العقبة الثانية لقول ابن هشام : " وكانت بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال " (١) ، ثم جاء الأذن بالقتال صريحاً في قوله تعالى : ﴿ اذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج : ٣٩) ، وعلى رأي الطبري أن الآية التي نزلت عند خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وعلى حد تعبيره سماها بالفتنة الآخرة ، هي التي كانت إنذاراً بالقتال (٢) ، والتي هي قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كَلِمَةً لِلَّهِ فَإِنِ أَنتَهُوْا فَإِنَّبَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (الانفال : ٣٩) ، وهذا يدل على ان تاريخ نزول آية الأذن بالقتال كان يواكب الهجرة من مكة الى المدينة ، وذكر أمر القتال هنا من باب التأكيد عليه ليعلم من حضر موسم الحج ، وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقف عدة سابقة انه أمر ان يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، وهي العاصمة لدمائهم من القتل ، كما ورد عند البخاري " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ " (٣) ، واستنتى فقال إلا بحقها ، اي ان هناك حقوق تستوجب القتل وإن قال لا اله الا الله ، فقد تقدم الحديث عنه في هذا البحث ، وهو مستوحى من الآية القرآنية التي حرمت قتل النفس ، معنى ذلك ان تحريم قتل النفس كان سابق لزمان الخطبة بنص القرآن الكريم .

ثم حذر من ظلم النفس والعودة الى الكفر وان يضرب المسلمين رقاب بعضهم بعضاً ، والمراد بهذا كله بيان توكيد غلظة تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك (فلا ترجعوا بعدي) أي لا تصيروا بعد فراقى من موقفي هذا ، أو بعد موتى ووفاتى ، وهو الأظهر ، وفي رواية أخرى (كفاراً) أي كالكفار أو لا يكفر بعضهم بعضاً فتستحلوا القتال ، أو لا تكن أفعالكم شبيهة بأفعال الكفار يضرب بعضهم رقاب بعض ، وورد في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : فلا ترجعوا بعدي كفاراً ، سبعة أقوال أحدها أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق ، والثاني أن المراد كفر النعمة وحق الإسلام ، والثالث أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه ، والرابع أنه فعل كفعل الكفار ، والخامس المراد حقيقة الكفر ، ومعناه لا تكفروا بل دوموا مسلمين ، والسادس أن المراد المتكفرون

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) الطبري ، التاريخ ، ج ٢ ص ٣٦٦ .

(٣) صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٢٩ ، حديث رقم : ٢٥ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعبيد حمد الجبوري

بالسلاح ، يقال : تكفر الرجل بسلاحه إذا لبسه ، والسابع معناه : لا يكفر بعضكم بعضًا فتستحلوا قتال بعضكم بعضًا ، وأظهر الأقوال الرابع (١).

٢ - كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذا الى يوم القيامة (٢) ، أي كل ما يؤثر ويذكر من مكارم أهل الجاهلية ومفاخرهم كناية عن إبطالها وإسقاطها (٣) ، كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي: أي أبطلت ذلك وتجاфيت عنه، حتى صار كالشيء الموضوع تحت قدمي، وإنما بدأ في وضع دماء الجاهلية ورباها بين أهل الإسلام بأهل بيته، ليكون أمكن في قلوب السامعين، وأسد لأبواب الطمع في الترخيص (٤).

٣ - ألا لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم (٥) . في هذا القول تأكيد على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ، وهو تأكيد لما ورد في القرآن الكريم ، ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٠ ، وأن أمته هي خاتمة الأمم لأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين .

٤ - اسمعوا مني تعيشوا، ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا، ألا لا تظلموا (٦) ، ففي الصحيحين، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الظلم ظلمات يوم القيامة" (٧) ، وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كانت عنده مظلمة لأخيه، فليتحل منها، فإنه ليس ثم دينار، ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات، أخذ من سيئات أخيه، فطرحته عليه" (٨).

(١) التبريزي ، مشكاة المصابيح ، ج ٩ ص ٦٠٩ ، ٦١٣ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٤٠٤ .

(٣) الساعاتي ، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ج ٢١ ص ٢٧٤، ٢٨٠ .

(٤) الطيبي ، شرح المشكاة للطبي الكاشف عن حقائق السنن ج ٦ ، ص ١٩٦٥ .

(٥) عبد بن حميد ، بن نصر أبو محمد الكسي ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي البدري

السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٧٠ .

(٦) السيرة النبوية ، لابن كثير ، ج ٤ ص ٤٠٣ .

(٧) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٨٦٤ ، حديث رقم : ٢٣١٥ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج ٤ ،

ص ١٩٩٦ ، حديث رقم : ٢٥٧٩ .

(٨) البخاري ، صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٨٦٤ ، حديث رقم : ٦١٦٩ .

٥ - أما بعد أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم^(١) ، وفي آخر فقرة من خطبة أوسط أيام التشريق والتي هي آخر خطبة حجة الوداع ، يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأصل الأول للإسلام ألا وهو توحيد الله سبحانه وتعالى كما أكدته الآيات الكريمة ، ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ الأنعام: ١٩ ، وقوله تعالى : ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ النحل: ٢٢ ، ثم ذكرهم بأبيهم آدم عليه السلام وأنهم ينتمون إليه فلا فخر لبعضهم على بعض " و الله اذهب فخر الجاهلية و تكبرها بأبائها كلكم لآدم و حواء كطف الصاع بالصاع و إن أكرمكم عند الله أتقاكم " (٢) ، وأكد على عدم التفاخر ولا فضل إلا بالتقوى ، وهذا القول مستوحى من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات: ١٣ ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم : " الناس لآدم وحواء كطف الصاع لن يملؤوه، إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا أنسابكم يوم القيامة، أكرمكم عند الله أتقاكم " (٣) ، والشواهد كثيرة لا يتسع بها المقام .

الخاتمة

١ - عندما استشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنو أجله أراد أن يذكر الأمة بأهم الأحكام ، ويحذرهم وينصحهم ، ونبههم الى أخذ المناسك عنه صلى الله عليه وسلم والسماع والانصات لخطبته ، وحفظها وتبليغها الى من لم يحضرها في هذا الموسم ، لانهم لن يلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا المقام مرة ثانية ، ومن اهم ما ذكر به حرمة الدماء والاموال والاعراض ، وقرنها بحرمة يوم عرفة ، وحرمة شهر ذي الحجة ، وحرمة البلد الحرام مكة المكرمة .

(١) احمد ابن حنبل، مسند الامام احمد، ج ٥ ، ص ٤١١ ، حديث رقم: ٢٣٥٣٦ ؛ الصالحي ، سبل الهدى والرشاد، ج ٨ ص ٤٨٣ .

(٢) البيهقي ، شعب الإيمان ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ ، حديث رقم : ٥١٣٦ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج ١ ، ص ٣٤ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعبيد حمد الجبوري

٢ - وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يعقلوا ما يقول ، ويدركوا المقاصد الشرعية من قوله ، وأكد عليهم انه بلغ، والله يعلم أنه بلغ ، وهو يؤمن أن الله يسمع ويرى ولا يحتاج الى شهود ، لكن ذكر ذلك من باب إلقاء الحجة على الناس ، لأن التبليغ فرض عليه ، وأشهدهم على أنفسهم واشهد الله عليهم ، فإذا قصرُوا فلا يلوموا إلا أنفسهم ، فرسول الله قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق الجهاد .

٣ - ان قوله صلى الله عليه وسلم (أنه لا تجوز وصية لوارث) ليس نسخ لأيتي الوصية اللتين في سورة البقرة، كما هو مشهور، إنما هو بيان أن هاتين الآيتين قد نسختهما آية المواريث في سورة النساء ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قد أدى الى كل ذي حق حقه) والذي سبق قوله لا وصية لوارث ، لذلك لا تعد السنة ناسخة لحكم القرآن .

٤ - منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشريع أن يبدأ بنفسه ثم أهل بيته ثم الاقرب فالأقرب ، فأكد على أبطال الربا وأول ما أبطل متعلقات الربا لعمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، ثم وضع دماء الجاهلي وأول دماء الجاهلية وضع دم ابن عمه ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، ليختم دعوته بتتقيتها من رواسب الجاهلية كالثارات ومضاعفة الديون بالربا .

٥ - ان رضا الشيطان بالوسوسة ليقوع المسلم بالمعاصي ما دون الكفر كالكذب والخيانة وغيرها ، ورضي بالتحريش بين المسلمين ، جاء بعد ان يأس ان يعبد في أرض العرب ، والتي تجدها كثيرة في بلاد المسلمين وقليلة في الكافرين ، لأنه رضي منهم بالكفر ، ولا يوسوس بالجزئيات ، ولأنه لم يقدر على المسلمين بالكفر فيرميهم بالمعاصي .

٦ - التأكيد في حجة الوداع على تحريم النسبي الذي ابتدعه العرب من تأخير الأشهر الحرم عن وقتها وكبس الأشهر القمرية حتى توافق السنة الشمسية ليوافقوا مواسم التجارة ، وتحريم النسبي كان سابقاً لزمان حجة الوداع كما ورد في الآية (٣٧) من سورة التوبة والتي نزلت في سنة (٩) للهجرة .

٧ - قد وافق زمن حجة الوداع الزمن الحقيقي كما خلقه الله سبحانه وتعالى ، بعد ان تغيرت اسماء الشهور عن مواقعها الأصلية بسبب فعل العرب بالكبس والنسبي ، فأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمن قد عاد وطابق حسابه الصحيح كما خلقه الله دون تغيير او تحريف ، وعلى

المسلمين حفظ هذا التوقيت وضبط حساب الزمن بعده ، بعد ان أبطل النسيء ، وتبين أن أحد أسباب تأخير حج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذه السنة ، لان الزمن الحج لا يوافق زمنه الحقيقي ، فلما عاد الى الزمن الذي خلقه الله عليه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا الحج اعلن عدد اشهر السنة كما وردت في القرآن الكريم ، وبين الأشهر الحرم منها الثلاث المتواليات ، ورجب مضر كما أكد عليه الذي يكون بين جماد وشعبان ليخالف ربيعة التي تعتقد ان رجب بين شعبان وشوال أي رمضان .

٨ - وبين في هذه الخطبة الحقوق الزوجية المتبادلة بين الزوجين ، فلزوج حق على زوجته ان لا تأذن لأحد بدخول بيته ممن يكره وإن كان من المحارم أو النساء ، والحق الثاني للزوج عدم الاتيان بفاحشة مبينة ، وهنا يقصد بالفاحشة سائر المعاصي من عقوق الزوج وفساد عشرته ونشوزها أو بذائتها مع أهل الزوج ولا تعني الزنا تحديداً ، وقد صرح في الخطبة بجواز معاقبة الزوجة ان وقع منها ما تقدم ذكره بالهجر في المضجع ، والضرب الغير مبرح الذي لا يكسر عظماً ولا يجرح لحماً ، فإن انتهت عن ارتكاب المخالفة فلها من الحقوق على الزوج الرزق ، والكسوة ، كلاً حسب سعته وبالمعروف ، وأوصاهم بالنساء خيراً ، ومن الحقوق أيضاً لا تنفق الزوجة من مال زوجها إلا بأذنه ، وجواز الانفاق مقيد بعدم سفاهتها ، فإن كانت سفيهة لا يحق لها الانفاق، وان كانت راشدة فإنفاقها مقيد لا يتجاوز الثلث .

٩ - ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع الاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والتمسك بهما ، فهما سبيل الهداية والرشاد ، وقد ورد في رواية (كتاب الله وعترتي أهل بيتي وهما الثقلان أحدهما أكبر من الآخر) ، وجدير بالذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعاد هذا القول في طريق العودة من حجة الوداع عندما خطب المسلمين عند غدير خم ، فمن منهجه صلى الله عليه وسلم إعادة القول لأهميته كما فعل في تكرار فقرات من خطبة يوم عرفة في خطبتي يوم النحر وأوسط أيام التشريق .

١٠ - ومما اشتهر في خطبة حجة الوداع معالجة أمر النسب ، لمن ادعى أن ولد غيره أنه له ، فحكم فيه أن الولد لصاحب الفراش أي الزوج الشرعي للمرأة الوالدة للولد وإن زنا بها غيره وادعى ان الولد له ، وأن للعاهر الحجر ، رجع الوصف على الرجل وليس على المرأة ، وأن من معاني

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

(للعاهر الحجر) ، أن له الخيبة والخذلان، لأن الحكم لا يؤخذ على الإطلاق فليس كل من زنا حكمه الرجم بالحجارة ، فربما زان غير محصن فحكمه الجلد، لذلك يصدق القول ان المقصود بقوله للعاهر الحجر ، ان له الخيبة بدعائه أن الولد له اعترافاً منه بجريمة الزنا .

ومن جانب آخر فقد وقع اللعن من الله ورسوله والناس على من انتسب الى غير ابيه الشرعي أو تولى غير مواليه وهم اصحاب الحق بالولاء، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الطرد من رحمة الله لمن وقع منه هذا الفعل ، ويسري هذا الحكم على من ادعى الانتساب الى قوم غير قومه ، وأنه يعاقب بالأخرة في النار ، إذا كان يعلم أبية ويعلم قومه وأدعى غيرهم مستحلاً ذلك مع علمه بتحريمه .

١١ - قد طبق رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم الرجم على الزاني المحصن على اليهود أيضاً ، لأنهم كانوا يحتكمون اليه صلى الله عليه وسلم فيما وقع بينهم من مشاكل في كثير من الأحيان ، وهذا الحكم انطلاقاً مما في التوراة والذي صدقه القرآن الكريم ، وقد أقر اليهود هذا الحكم ولم يعترضوا عليه ، وذلك ثابت في الصحيحين .

١٢ - ومن اسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعليم والتفهيم ، أن يسأل عن المعلوم ، فقوله أي يوم هذا؟ وهو يعلم أنه يوم النحر ، وقوله أي شهر هذا ؟ وهو يعلم أنه شهر ذو الحجة ، فسأله للتعليم وليس للاستفهام ، لبيان أهمية ما سأل عنه وربطه بحرمة الدماء والأموال والأعراض ، وفي هذا الباب يذكر حسن أدب الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجيبون بما يعلمون بل يقولوا الله ورسوله أعلم تحرزاً من التقديم بين يدي الله ورسوله ، وتوقعاً فيما لا يعلم الغرض من السؤال عنه .

١٣ - اتخذت هذه الحجة اسمها (حجة الوداع) لأنه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها .

١٤ - ومن أهم ما ورد في هذه الخطبة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة لولي الأمر وإن كان عبداً أسوداً ، لكنه اشترط أن يقودهم بكتاب الله ، وينفس السياق ورد في الآية طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر ، إلا أنه أراد أن تكون طاعة ولي الأمر امتداد لطاعة الله وطاعة

رسوله من قبل ولي الأمر ، لأن ذكر لفظ الطاعة مع لفظ الجلالة ومع لفظ رسول الله ولم يذكره مع أولي الأمر وكأنه يوحي ان الطاعة له تأتي نتيجة لطاعته لله ورسوله .

ولفظ ولي الأمر لا يدل على الحاكم الأعلى حصراً ، فعند العلماء أولي الأمر هم (الأمراء ، و أصحاب السرايا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او هم السلاطين ، أو هم أهل العلم والفقهاء ، أو أهل العقل والفضل في دين الله تعالى ، وفي قولهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كافة ، وفي قولهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقط) إذا الأمر ليس مجمع عليه في فئة معينة وقد يشمل الجميع ، وان طاعتهم ليس مطلقة بل مقيدة بعمل الخير وعدم فعل المعصية استناداً الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخرج به ابزار في مسنده .

١٥ - ولأن جلود العارية يقطع سبيل المعروف ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تؤدي العارية ، وأن ترد المنيحة ، ولا بد من قضاء الدين ، وأن الكفيل يغرم إن عجز المكفول أو امتنع عن قضاء الدين الذي عليه .

١٦ - ومن باب التذكير بحكم سابق والتأكيد على استمرار هذا الحكم قوله صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع ، الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي ، ويدخل بهذا الحكم موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالي بني هاشم ، لان موالي القوم منهم في الحكم الشرعي ، وهذا الحكم باق الى يوم القيامة فكل من انتسب الى النسب الشريف ومواليهم لا يحق له أن يأكل أو ينتفع من أموال الصداقات قلت أو كثرت .

١٧ - وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة من أربعة أمورهن عماد الدين (الشرك بالله ، وقتل النفس ، والزنا ، والسرقه) وهن اساس الدعوة الاسلامية ، كذلك تحدث عن أمور غيبية منها أنه صلى الله عليه وسلم يسبق أمته الى الحوض يوم القيامة ، وبين أن الأمم تتنافس في ذلك اليوم بكثرة المؤمنين من أتباع الأنبياء ، وحذر من ارتكاب الأمة لكثرة المعاصي التي تؤثر في وجهه الشريف السواد يوم القيامة ، وإن أكثرتم المعاصي فلا تصلحوا لان يفتخر بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، وكذلك أن تبديل الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم العبد من شفاعته إذ تحول الملائكة بينه وبين الوصول الى الحوض عند رسول الله .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعبيد حمد الجبوري

١٨ - وأكد في الخطبة أنه صلى الله عليه وسلم يقاتل الناس كافرهم ومشرکهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ، وإن قالوها عصموا منه دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، إلا بحقها ، وما ارتكبوا من مخالفات في القول والعمل فحسابهم على الله ، فرسول الله يتعامل مع الظاهر والله يتولى السرائر ، أما الأمور التي تستوجب القتل بالحق (الكفر بعد الايمان ، والزنا بعد الاحصان ، وقتل النفس بالنفس قصاص) كم حذر من الظلم والعودة الى أن يضرب المسلم رقاب المسلمين كما يفعل الكفار ، أو لا يكفر بعضكم بعضاً وتستحلوا القتل .

١٩ - وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خاتم الانبياء فلا نبي بعده ، وامته خاتمة الامم فلا نبي لأمة بعدها ، ونهى عن الظلم فإن كل مظلمة يؤخذ لصاحبها يوم القيامة من حسنات من ظلمه ، فإذا فنيت حسناته تطرح عليه من سيئات من ظلم ، ودعا الى عدم التفاخر فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لاسود على احمر إلا بالتقوى .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

- ١ - ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الاثير (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ، أسد الغابة ، دار الفكر ، بيروت.
- ٢ - ابن الاثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ.
- ٣ - ابن اسحق ، محمد المطلبي (ت ١٥١هـ / ٧٦٨م) ، سيرة ابن اسحق المسماة كتاب السير والمغازي ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، ١٩٧٨م .
- ٤ - أسعد حومد ، أيسر التفاسير .
- ٥ - الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
- ٦ - الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ .
- ٧ - الإمام سعيد بن منصور ، سنن الإمام سعيد بن منصور .
- ٨ - الأمير ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: ١١٨٢هـ) ، التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم ، مكتبة دار السلام، الرياض ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م .
- ٩ - البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، الأدب المفرد ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، ط٣ ، دار النشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- ١٠ - البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ.
- ١١ - البركتي ، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، التعريفات الفقهية ، دار الكتب العلمية
- ١٢ - البزار ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَصْرِيُّ (ت: ٢٩٢ هـ / ٩٠٤م) ، مسند البزار (البحر الزخار) ، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت
- ١٣ - ابن بطلال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي ، شرح صحيح البخاري ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، ط٢ ، مكتبة الرشد ، السعودية ، الرياض

- ١٤ - البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (ت: ٥١٦هـ/١١٢٢م) ، شرح السنة ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، دمشق
- ١٥ - البويطي ، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيبي الهزري الكري البويطي ، شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى» ، مراجعة لجنة من العلماء ، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية ، جدة ، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م .
- ١٦ - البيضاوي ، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٥م) ، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة ، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م .
- ١٧ - البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- ١٨ - البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، شعب الإيمان ، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- ١٩- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب .
- ٢٠ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، غريب الحديث ، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ٢١ - ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن الجوزي أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، المصنفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، تحقيق د. صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ٢٢ - الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله ، المستدرک على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٢٣ - ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م) ، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٢٤ - ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار الجيل ، بيروت
- ٢٥ - ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المحقق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وذكر أطرافها : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر .
- ٢٦ - حسان ابن ثابت ، ديوان حسان بن ثابت .

- ٢٧ - ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد ، الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ .
- ٢٨ - الحلبي ، علي بن برهان الدين الحلبي (ت : ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤م) ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠ هـ .
- ٢٩ - الدارقطني ، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي، سنن الدارقطني ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يمانى المدن ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ٣٠ - ابن رجب ، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، فتح الباري ، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد ، ط ٢ ، دار ابن الجوزي
- ٣١ - الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩١ هـ .
- ٣٢ - الساعاتي ، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي (ت: ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م) ، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني
- ٣٣ - ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) ، الطبقات الكبرى
- ٣٤ - ابن سلام الجمحي ، محمد بن سلام ، طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة .
- ٣٥ - ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤ هـ / ٨٣٨م) ، الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن ، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المدير ، ط ٢ ، مكتبة الرشد و شركة الرياض ، الرياض ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٣٦ - السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت : ٥٨١ هـ / ١١٨٥م) ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، المحقق : عمر عبد السلام السلامي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ٣٧ - ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٠٩ هـ .
- ٣٨ - الصالحي ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد .
- ٣٩ - الطالقاني ، أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني ، المحيط في اللغة ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسي ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤ هـ
- ٤٠ - الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(ت : ٣٦٠ هـ / ٨٧٠م) ، المعجم الأوسط ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين

- ٤١ - الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني(ت : ٣٦٠هـ/٨٧٠م)، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل .
- ٤٢ - الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (٣١٠ هـ/٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان ، بيروت.
- ٤٣ - الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (٣١٠ هـ/٩٢٢م) ، جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م
- ٤٤ - الطحاوي ، الإمام أبو جعفر الطحاوي ، شرح مشكل الآثار ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
- ٤٥ - الطيبي ، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ/١٣٤٢م) ، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) ، المحقق: د. عبد الحميد هندواوي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ، والرياض ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٤٦ - العازمي، موسى بن راشد ، اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» ، تقرّظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس ، المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ٤٧ - ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٢م) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، المحقق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل
- ٤٨ - عبد بن حميد ، بن نصر أبو محمد الكسي ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ.
- ٤٩ - عبدالرزاق الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ٥٠ - ابن العربي ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ/١١٤٨م) ، المسالك في شرح موطأ مالك ، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى ، قدّم له: يوسف القرضاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٢٨ هـ
- ٥١ - القاضي عياض ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ/١١٤٩م) ، شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاذِ الْمُسَمَّى إِكْمَالُ الْمُعْلَمِ بِقَوَائِدِ مُسْلِمٍ ، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨
- ٥٢ - القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ/١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

- ٥٣ - ابن قرقول ، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، مطالع الأنوار على صحاح الآثار ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢م.
- ٥٤ - ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) ، زاد المعاد في هدي خير العباد، المكتبة القيمة ، القاهرة .
- ٥٥ - ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ/١٣٧٢م) ، تفسير القرآن العظيم ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، ط٢ ، دار طيبة للنشر والتوزيع .
- ٥٦ - الكرمي ، مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن ، تحقيق : سامي عطا حسن ، دار القرآن الكريم ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ .
- ٥٧ - الكشي ، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد الكشي ، المنتخب من مسند عبد بن حميد ، تحقيق : صبحي البديري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ .
- ٥٨ - الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي ، عالم الكتب ، بيروت .
- ٥٩ - الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي (ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م) ، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- ٦٠ - ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر ، بيروت .
- ٦١ - المباركفوري ، صفي الرحمن ، سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحيق المختوم ، ط٢ ، دار الخير ، بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ٦٢ - المباركفوري ، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت: ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) ، تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٦٣ - محمد احمد عبد الغني ، كتاب خطبة حجة الوداع فوائده وفرائده .
- ٦٤ - محمد عبد السلام كفاي وعبد الله الشريف ، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية ، بيروت .
- ٦٥ - المروزي ، محمد بن نصر (ت٢٩٤ / ٩٠٦م) ، تعظيم قدر الصلاة ، تحقيق د. عبد الرحمن بن عبد الجبار القربوائي، دار الأرقم ، استانبول، ١٤٠٦ هـ .
- ٦٦ - المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥ هـ / ٩٥٦م) ، التنبيه والأشراف ، تحقيق عبد الله إسماعيل الصادق ، دار الصاوي ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع دراسة تحليلية تاريخية

أ.م.د. حسين اعيد حمد الجبوري

- ٦٧ - مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ/٨٧٤م) ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٦٨ - المظهري ، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الرِّيدَانِيُّ الكوفي الضَّرِيرُ الشَّيرَازِيُّ الحَنْفِيُّ المشهورُ بالمُظْهَرِي (المتوفى: ٧٢٧ هـ/١٣٢٧) ، المفاتيح في شرح المصابيح ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م.
- ٦٩ - الملاحويش ، عبدالقادر(ت:١٩٧٨م) ، مختصر تفسير بيان المعاني وهو تفسير على حسب ترتيب النزل ، اختصره علاء محمد سعد واخرون ، دار الروية ، دمشق ، ٢٠٠٦ م .
- ٧٠ - الملا على القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، للعلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي ، مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيدالله بن العلامة محمد عبدالسلام المباركفوري حفظه الله.
- ٧١ - ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، لسان العرب، ط١، دار صادر .
- ٧٢ - ابن منظور ، مختصر تاريخ دمشق .
- ٧٣ - النبهان ، محمد فاروق ، المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، دار عالم القرآن ، حلب ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
- ٧٤ - النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر ، الناسخ والمنسوخ ، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٨ هـ .
- ٧٥ - النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، سنن النسائي الكبرى ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.
- ٧٦ - النميري ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٣٨٧ هـ .
- ٧٧ - النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم .
- ٧٨ - الهري ، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، دار طوق النجاة، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
- ٧٩ - ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت ٢١٣) ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا واخرون ، ط٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .

٨٠ - الهندي ، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ م .

٨١ - الواقدي ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) ، كتاب المغازي ، تحقيق مارسن جونز ، ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤ م .